١٣

روايات احلام

نجمة الجراح

www.rewily.com

www.rewayti.net

نجمة الجراح

ليزا، النجمة في عالم الأزياء، وجدت نفسها خارج عالم الشهرة والمال، تعاني الضياع والحرمان، وبين ذراعيها طفلة أختها المتوفاة.

وعندما بحثت عن وسيلة للخلاص، لم تجدها إلا في شخص انطونيو كوربوفا، الرجل المتعجرف القاسي الذي ظنها والدة الطفلة بيتي.

ورضيت ليزا، لئلا تخسر الطفلة، أن تكذب وتلعب دور الأم الحقيقية، ودور زوجة انطونيو.

لكن الى متى تستطيع الصمود في مواجهة زوج كانطونيو لا يخفي ازدراؤه واحتقاره لها؟ وكيف تستطيع إخفاء الحقيقة عنه؟ الحقيقة التي إذا اكتشفها فسيعني هذا خسارتها له وللطفلة إلى الأبد.

www.rewayti.net

١ ـ صراخ طفلة

ابتسمت ليزا للطفلة الصغيرة التي هدهدتها حتى نامت، فمسحت لها جبهتها البيضاء، برقة وحنان... إن بيتي هي أهم ما لديها في الحياة، ومن أجلها قد تفعل أي شيء.

وراحت تفكر، لم تعد تستطيع تحمل المزيد، اذا استمرت كلفة المعيشة بالارتفاع فستصل إلى حائط مسدود. بيتي تكبر، وقد أصبحت عبئاً على كاهل العجوز السيدة جايسون لا سيما أنها تحبو، وتعبث بأي شيء أمامها.

ودفنت ليزا وجهها بين يديها.. وغلبتها دموع الإحباط... ماذا ستفعل؟ ماذا يمكن لها أن تفعل؟ لو أن أنجي لا زالت حية، ولم تمت وهي تلد بيتي، لكانتا على الأقل سعتا إلى طلب مساعدة والد الطفلة. ولكنها ماتت... حتى أنها لا تعرف من هو والد ابنة اختها!!... لو انها لم تكن تعمل منذ سنتين خارج البلاد، لما حدث كل هذا... ولربما بقيت أنجي حية... لو أن... لو أن... لو أن! كم من المرات رددت الأمر نفسه خلال السنة المنصرمة؟ وأين أوصلها هذا؟ إلى لا شيء!.

ولكنها لن تتخلى عن بيتي مهما حدث... رفعت رأسها بسرعة لسماعها طرقات قوية على الباب. وتطلعت بقلق إلى الطفلة النائمة التي بدأت تتحرك. لقد بذلت الجهد الكبير لتجعلها تنام، وإذا أيقظها، كائناً من يكون على الباب، فلسوف تريه.

www.rewayti.net

وقفت قلقة، لتفتح الباب قبل أن يقرر الزائر دق الباب ثانية. وكأنما أدركت الطفلة أن خالتها تنوي تركها، فتحت عينيها وتأهبت للبكاء.. فرددت ليزا بصوت لطيف... «لا بأس يا حبيبتي» ولكن صوت صاحبة منزلها لعلع عند الباب بخشونة:

ـ أعرف أنك هنا آنسة كاميرونا فأين يمكن أن تكوني؟

وفتحت ليزا الباب غاضبة، ووقفت تسده كي تمنع المرأة من الدخول بدون دعوة... والسيدة ويتر، البالغة الخمسينات من عمرها.. لم تكن شيئاً إذا لم تكن فضولية. ومن أدب ليزا انها لم تدعها مرة بالمزعجة، ولكنها كانت كذلك فعلاً. وواقع إنها لم تكن أماً غير متزوجة، لا شأن لهذه المرأة فيه، وقد قررت ليزا أن لا تقول لها حقيقة أنها خالة الطفلة وليست أمها.

لو أنها تستطيع إيجاد مسكن آخر، رخيص كهذا، لانتقلت منذ مدة [illegible]. فلم يكن أحد ليرغب في القبول بطفل [illegible] في وقت تستطيع الحصول على الأجرة نفسها من [illegible]. ولكن ماذا تستطيع أن تفعل إزاء شكاوى السيدة ويتر، والطفلة التي تصرخ من التسنين المؤلم حقاً. قالت [illegible]:

ـ نعم، سيدة ويتر؟

ـ لا تكلميني بهذه اللهجة المتعالية أيتها الشابة. فأنت لست أفضل مني بشيء.

تماسكت ليزا رافضة إظهار تأثرها بكلام المرأة:

ـ أخلاقي لا شأن لك بها، سيدة ويتر. والآن هل تريدين شيئاً أم جئت للزيارة؟

ـ لا حاجة بك إلى هذه الوقاحة.. لقد أتيت لأقول لك إنني تلقيت الشكاوى من جديد. وهذا ليس بالأمر الجيد.

فتنهدت ليزا، ومررت يدها فوق شعرها:

ـ أنا آسفة للأصوات سيدة ويتر، ولكن أسنان بيتي تنبت، وأنا...

فهزت مالكة المنزل رأسها وقاطعتها بخشونة:

ـ لقد سمعت هذه الأعذار من قبل، ولن تجديك نفعاً. فهذه الطفلة لا تفعل سوى الصراخ... وعندما يصل الأمر إلى أن أتلقى الشكاوى من المستأجرين الآخرين.. فأنا مضطرة لفعل شيء إزاء ذلك.

فشهقت ليزا:

ـ ولكن بيتي لا تصرخ طوال الوقت، إنها طفلة هادئة جداً... يا إلهي! قد تصرخين أنت بنفسك إذا كنت متألمة!

ـ حسناً... هذا ممكن... ومع ذلك فأنا مضطرة أن أطلب منك الرحيل.

ـ الر... الرحيل...؟ و... ولكن... أنا... ليس لدي مكان آخر أذهب إليه!

لان وجه المرأة قليلاً وقالت بلطف:

ـ أنا آسفة يا حبيبتي... لو أن الأمر متروك لي لتركتك هنا، ولكن زوجي مصمم ويريد غرفتك فارغة في نهاية الأسبوع.

فشحب وجه ليزا:

ـ ولكن... أين يمكن أن أذهب؟

ـ لست أدري... ألا يمكن لوالد بيتي أن يساعدك؟

هزت ليزا رأسها... حتى أنها لن تستطيع طلب مساعدة صديقها تيد، فهو يعتقد أنها تتصرف بحماقة، وأن عليها وضع الطفلة في ميتم وأن تتزوجه... ولكن كيف يمكن لها أن تتزوج رجلاً يرفض طفلاً لا حول له ولا قوة؟

وبدأت بيتي بالبكاء... فقطبت السيدة ويتر:

ـ أرأيت؟ ما من لحظة هدوء. اوه... كم أشعر بالأسى على

www.rewayty.com
www.rewayti.net

هذه الطفلة الصغيرة، ولكن... تذكري... حتى نهاية الأسبوع!

استدارت مبتعدة.

كيف يمكن لليزا أن تنسى؟ وحملت الطفلة وهي تفكر... وكأنما أحست بأن خطأً ما أصاب خالتها، فتوقف نحيبها وهدأت بين ذراعي ليزا ودفنت رأسها في عنقها، تتمتم وتناغي بالطريقة التي تحببها إلى الجميع.

أمضت ليزا فترة استراحة الغداء ليومين متتاليين وهي تبحث عن سكن... ولكن بدون جدوى، فما كانت تستطيع تحمل إيجاره كان يرفض القبول بالطفلة... ومن كان يقبل بها لم يكن باستطاعتها دفع إيجاره.

ليزا كانت فتاة شابة جذابة جداً... وكعارضة أزياء سابقة، من السهل أن لا تعرف عنها، فشعرها الأشقر الأحمر الطويل كان يشع وكأنه أوراق الخريف. وعيناها الخضراوان الواسعتان، وأنفها الصغير، وفمها العريض، منحها وجهاً جميلاً. أما جسدها فقد كان متناسقاً، ولو أنها الآن أكثر نحافة من قبل.

لسنة خلت، كانت عارضة أزياء. ولكن أوقات العمل غير العادية، والسفر، إضافة إلى العناية ببينشي، جعل الأمر مستحيلاً. وهكذا اضطرت للعودة إلى مؤهلات السكرتاريا التي حصلت عليها في المدرسة، وقبلت وظيفة فيها القليل من الطموح، ولا تدر عليها الكثير. كما أنها لم تكن قد أمضت الكثير من الوقت كعارضة أزياء كي توفر المال، وما استطاعت توفيره، أخذ يتلاشى شيئاً فشيئاً، ففي كل أسبوع تقريباً كانت تسحب مبلغاً من مدخراتها.

في اليوم التالي أخذت ليزا الطفلة معها لزيارة صديقتها ليندا. كان عملها لنصف نهار اليوم، وهي عادة تقضيه مع صديقتها، التي تعيش وزوجها الصعوبات نفسها تقريباً، وهذا ما يعطيهما سبب حزن مشترك، ومع تقارب عمريهما إلا أن ليندا كانت حامل ومثقلة بأعباء

عائلة من فتاتين.

داعبت ليندا بينشي:

ـ مرحباً يا حلوتي الصغيرة... بـاه... إنها ضعيفة الجسم! وأنت كذلك ليزا، لا تبدين على ما يرام. ماذا حدث؟

فحكت لها ليزا عن الانذار بالاخلاء النهائي، وصعوبة إيجاد مكان آخر تعيش فيه... فتنهدت ليندا بقلق وقالت:

ـ بإمكانك السكن هنا بضعة أيام إذا اضطررت.

علمت ليزا أن العرض حقيقي، ولكنه ليس بالعرض الممكن قبوله.

ـ لا... سأجد لنفسي حلاً. شكراً لك ليندا. أتعلمين ما اقترح علي تيد؟

وأشارت ليندا بيدها مشمئزة:

ـ اوه... تيد؟ لا نفع منه إطلاقاً.

فضحكت ليزا:

ـ دعك من هذا الآن... لقد أتيت معي ببضع تفاحات لنصنع قالب حلوى نأكله مع الشاي. حضّري أنت العجينة وسأحضر أنا التفاح... اتفقنا؟

ـ اتفقنا... اتركي بينشي مع تينا ليلعبا معاً.

من الرائع أن تنسيا مشاكلهما لفترة، تضحكان كتلميذتي مدرسة، وقد اتسخ شعريهما بالطحين. وضحكت ليزا:

ـ نحن نتصرف كطفلتين.

ـ لست أكثر من طفلة... كم عمرك الآن؟

ـ واحد وعشرون، فأنا أكبر من أختي بسنتين، ولطالما فكرت بما ستكون عليه لو أنها بقيت حية. لكان بإمكاني أن أتابع عملي كعارضة فأعيلها وبينشي... ما أقسى أن تموت! حياتها لم تبدأ بعد، كانت مجرد طفلة.

www.rewayti.net

- أو لم يردك أي خبر من والد بيتي؟
فهزت ليزا رأسها:
- وكأن لا وجود له. ولكن وجودها دليل على وجوده... أظن أنه كان وسيماً، إذا أخذنا بالاعتبار جمال بيتي. اوه... أعلم أن لها لون شعري، ولكن قسماتها لا تشبهني، ولا تشبه أمها. كما أن لون بشرتها أكثر سمرة من لون بشرتينا.
- وهل بحثت بين أوراق ورسائل آنجي؟ تلك التي في الصندوق الخشبي المزخرف.
فهزت رأسها:
- لا... لم أستطع، بدا لي الأمر وكأنني سأنتهك حرمة خصوصياتها. إنها رسائلها، ومن الخطأ أن أقرأها.
- ولكن لا تقرأيها بالفعل... بل انظري إلى التواقيع والعناوين... بإمكانك فعل هذا بدون قراءتها. أليس كذلك؟
- أعتقد هذا... ولكنني لا أستطيع.
فأصرت صديقتها بنفاد صبر:
- بل تستطيعين! إذا لا وقت الآن لاحترام الخصوصيات!
وضعت ليزا أن صديقتها محقة... لقد كانت آنجي تحتفظ بصندوق خشبي مزخرف فيه أوراق ورسائل، ولكن ليزا لم تتمكن حتى من إجبار نفسها على التفتيش فيها، مع أنها كانت واثقة من أنها ستجد اسم والد بيتي هناك.
ما إن عادت إلى المنزل، ووضعت الطفلة في سريرها حتى أخرجت الصندوق من الخزانة، وأخذت تحدق به عدة دقائق، ثم فتحت غطاءه الخشبي وترددت لحظات أخرى... غير مرتاحة لأن تنبش أسراراً ربما من الأفضل تركها مطوية.
ثم صنفت بعد تلك الرسائل، تنظر فقط إلى التواقيع، وتتجاهل المحتويات... كانت تعرف معظم الأحد ... مرت أسماؤهم

بها الآن... ماعدا واحد، اعتقدت جازمة أنه والد بيتي.
وأعادت ليزا بقية الرسائل إلى الصندوق، وترددت كثيراً متخوفة من اللحظة التي ستقرأ فيها الرسالة... وأخيراً، لم تعد تستطيع الانتظار... وقرأت ببطء الكلمات الشاحبة قليلاً. بدا على صفحتي الرسالة بقع جعلت بعض الكلمات تتلاشى، وكأن شخصاً كان يبكي وهو يقرأها. وهذا ما بدا حقيقياً لها بعد أن قرأت الرسالة؛ الرسالة كانت من شخص اسمه لوسيان كوردوفا، يقول فيها بصراحة أنه لن يراها بعد الآن... ولم يذكر الطفلة في الرسالة، ولكن التاريخ عليها كان يناسب الوقت الذي كانت فيه آنجي قد اكتشفت أمر حملها، ولهذا فقد تصورت ليزا أن الحمل كان سبب هجرانه لها. حسناً لقد آن الأوان لأن يعرف لوسيان كوردوفا أمر وجود ابنة له.
أرسلت في اليوم التالي رسالة إلى العنوان الموجود على الرسالة تعلم فيها السيد كوردوفا أن لديها أمراً هاماً تريد قوله له. ولم يمنعها ذلك من الاستمرار في التفتيش عن سكن. فقد يكون السيد كوردوفا قد ترك ذلك المنزل، وحتى لو أنه لا يزال هناك... فقد يبعده اسمها عن الرد. العنوان كان في أحد أفضل ضواحي تورنتو، ومن يسكن في مثل تلك الأماكن لهم طريقتهم الخاصة في نسيان مسؤولياتهم... حتى أنه يمكن أن يكون قد نسي وجود آنجي أصلاً.
ومضت ثلاثة أيام على إرسالها لتلك الرسالة. ولم يردها الجواب. مع أنها كانت واثقة أن الرسالة قد وصلت، وهي لم تجد سكناً آخر... أخذ وضعها يسوء. وبالكاد كانت تنام ليلاً، وينتابها القلق طوال النهار... ولم تكن الطفلة تساعدها... لقد دخلت عليها ثلاث مرات خلال ساعة لتهدئها، ورفعت قدميها إلى الأريكة لتكورهما تحتها، وتريح رأسها إلى الخلف... فاستغرقت في النوم.
استفاقت على صوت طرقات على الباب. تلمست شعرها الأشعث، وسوت ثيابها... لو أن الطارق هو السيدة ويتر...

www.rewayti.net

فلسوف... وعاد القرع مجدداً... ثم صوت السيدة ويتر.

- آنسة كاميرون! آنسة كاميرون! لدي زائر لك!

زائر! اوه يا إلهي! من قد يكون بحق الله؟ لا بد أنه شخص لا تعرفه السيدة ويتر وإلا لما رافقته إلى هنا.

فتحت الباب... واتسعت عيناها بالصدمة وهي ترى رجلاً طويلاً أجنبي المظهر يقف متطرساً إلى جانب السيدة ويتر، التي بدت مرتبكة، ولا عجب في هذا. فقد كان الرجل ينظر إليهما بكبرياء من خلف أنفه وقد بدت بذلته تناسب جسده تماماً، فقالت ليزا بحزم:

- بإمكانك الذهاب الآن سيدة ويتر.

راقبت المرأة وهي تنزل السلالم ببطء تتمتم لنفسها كعادتها... وأعادت نظرها إلى الرجل، فإذا به يحدق إليها بازدراء... يتمعن بعينيه الزرقاوين في قسمات وجهها وكأنه يود حفظه جيداً... فسألته متوترة:

- أتود الدخول؟

- أنت تثقين بالناس كثيراً آنسة كاميرون.

كان لكلامه لكنة غريبة وكأنما الانكليزية ليست لغته الأم. ورفع قامته وهو يكمل:

- بما أنك لا تعرفين من أنا... فاسمي انطونيو كوردوفا.

- اوه... ولكن...

فرفع يده ليصمتها، وقال بصوت لا يظهر فيه التأثر:

- قبل أن تقولي أي شيء آنسة كاميرون، أظن أن من الأفضل أن تعرفي أن شقيقي لوسيان قد مات.

شحب وجه ليزا... لم يكن هذا ما تتوقعه مطلقاً. كيف يمكن لهذا الرجل أن يقف هكذا ليقول لها ما قاله بكل قلب باردا أملها الوحيد بمستقبل يبشي قد دُمّر الآن، وكادت الدموع تتدفق من عينيها الخضراوين، إذن... ستخسر بيشي، ولن تستطيع فعل شيء حيال

هذا.

ذلك الغريب كان لا يزال يحدق إليها وكأنه يشرّحها... حتى في حزنها استطاعت أن تلاحظ أن جاذبيته مدمرة... وإذا كان هناك أي تشابه بين الأخوين، فلا يمكن لوم أنجي على تعلقها بلوسيان، وبدون أن ينتظر منها تكرار دعوتها دفع الباب ودخل، وهو ينظر إلى المكان من حوله بدون أن يخفي كراهيته... فقالت له بتوتر ظاهر:

- فهمت... في هذه الحالة، اخشى أن تكون قد أضعت وقتك... فلا يمكنك مساعدتي.

ارتفع حاجباه بغطرسة للهجتها وقال بمجرفة:

- أرجوك... دعيني أكون أنا الحكم على هذا آنسة كاميرون. لقد بدا في رسالتك الإلحاح. وإلا لما جئت أبداً، وتقولين إنني لن أستطيع مساعدتك. فماذا يجعلك تظنين أن شقيقي يمكنه فعل أكثر مما أستطيعه أنا؟... ألن تجلسي كي أتمكن أنا من الجلوس؟

- اوه... اوه... أنا آسفة! تفضل بالجلوس.

فجلس قبالتها وتابع:

- إذن... هل لك بأن تقولي لي ما هو الشيء الذي لا يستطيع سوى شقيقي أن يساعدك فيه؟ أم أن الأمر خصوصي جداً لا يمكنك إطلاعي عليه؟

وبرقت عينا ليزا غضباً للهجته الساخرة:

- كلامك ينقصه الأدب سيد كوردوفا.

فسألها متوتراً:

- صحيح؟ ولكنك متكتمة تماماً. لقد أرسلت رسالة عاجلة ملحّة إلى شقيقي وعندما جئت بدلاً عنه رفضت إخباري بما أردت بحثه معه.

ووقف بسرعة مضيفاً:

- يبدو أنك على حق... فلقد أضعت وقتي سدى.

www.rewayti.net

ووقفت ليزا لترافقه، ولكن صرخة تثقب الآذان صدرت من بيتي منعتها، وبدون أن ترد على نظرته المتسائلة، سارعت إلى غرفة النوم. كل تفكيرها مشغول في إسكاتها قبل أن تقلق الجوار كله. وأخذت تهدهدها «ها أنذا يا حبيبتي... لا بأس عليك يا طفلتي».

وقف انطونيو كوردوفا مسمراً عند الباب، بوجهه الأسمر الوسيم... ثم قال بخشونة وصوته يخفي العنف:

ـ إذن... لديك طفل.

ردت ليزا وهي لا تزال تبتسم لبيتي:

ـ كما ترى.

وركزت بيتي عينيها الخضراوين الواسعتين على وجه الرجل ثم ضحكت... ماما... ماما...

بالنسبة لليزا، تلك الكلمات كانت انتصاراً، ولكنها بدت أنها تثير ذاكرتها أكثر. وتجاهلت نظراته وابتسمت للطفلة:

ـ ألست جميلة يا حبيبتي... ألن تعودي إلى النوم؟ ماما لديها ذاكرة وأنت مزعجة!

قال الغريب بصوت كحد السيف:

ـ أرجوك... لا تستعجلي بيتي. وإذا كان هذا سبب طلبك مساعدة أختي، فأنت مخطئة. فلن أستطيع خدمتك، لقد اخترت مصيرك بنفسك... وتوريط الآخرين بمشاكلك شيء غير معقول.

ـ حقاً... سيد كوردوفا؟

حملت بيتي نفسها بين ذراعي ذلك الغريب المتباهي، ولم يكن لديه خيار سوى أن يحتضنها، ويحدق إليها.

انظرت ليزا مقطوعة النفس تنظر إلى بيتي تلعب بأزرار قميصه الشجي البياض... وأسنانها الأربعة الأمامية تظهر من بين شفتيها الياقوتيتين... وأخذ انطونيو كوردوفا ينقل نظره من بيتي إلى ليزا... وقد شحب وجهه. ثم قال بصوت مرتجف غير واثق:

ـ هذا الطفل... ما من شك إنك أمه... وأبوه... أبوه كان أخي... أليس كذلك؟

فهزت رأسها:

ـ أجل... كان الأب... ولكن... أنا...

فأسكتها بحزم:

ـ أرجوك!

وحمل الطفلة إلى الغرفة الأخرى حيث جلس على أحد المقاعد، فيما كانت بيتي تنظر إليه بعينين ضاحكتين... وأخذ وجه انطونيو كوردوفا يلين وهو ينظر إليها. واختفت الخطوط المتشددة حول فمه... ثم قال:

ـ وما اسمك... أيها الصغير.

ـ اسمها بيتي وعمرها عشرة أشهر.

لم تقل له بعد إنها ليست ابنتها... ولكن لم تبدو لها الفرصة مناسبة ونظر إليها من فوق بيتي:

ـ وبماذا أستطيع مساعدتك؟

اجفلت، وقالت بصوت ذاهل:

ـ لا شيء. أردت أن أرى شقيقك... وهو... مات.

اختنقت الكلمات في حلقها... مسكينة بيتي لقد أصبحت بلا أب ولا أم. وتمكنت ليزا من أن تكمل:

ـ وبما أنه مات، فعليّ أن أحل مشاكلي بنفسي.

ـ لا أوافقك على هذا... هل يجب أن أذكرك بأنها ابنة أخي؟

شدهت ليزا، فهذا أمر لم تفكر به. وهزت رأسها:

ـ ليس لديك برهان على هذا سوى كلامي... ولا أستطيع القسم أنه والدها.

فصاح:

ـ وحق الشيطان لن تستطيعي!

www.rewayti.net

وتغضن وجه بيتسي بالبكاء خوفاً، فقال:

- لا بأس عليك يا صغيرة...

ووضعها على الأرض ووقف. ثم أخذ يذرع الغرفة... وأخرج علبة سكاكر وولاعة ذهبية:

- تأذنين لي بالتدخين؟

قبل أن تجيب أشعل اللفافة، ولم يتحدث قبل لحظات طويلة:

- إذن أنت لا تعرفين إذا كان والد طفلك هو أخي... دعيني أريح لك ضميرك... بيتسي ابنته، ما من شك في هذا. إنها تشبهه جداً، ألم تلاحظي الشبه؟ أم أنك نسيت كيف كان يبدو أخي في بحر الوجوه التي عرفتها؟

وابيض وجه ليزا لإهاناته:

- وماذا تنوي أن تفعل سيد كوردوفا؟ هل ستدفع لي لتصرفني عنك؟

فالتوى فمه بسخرية:

- هذا أمر لا أنوي فعله أبداً آنسة كامبرون. وأنا واثق أن هذا ما كنت تتوقعينه من لوسيان... ولكنك ستجدينني أقسى عوداً من أخي. لا... بيتسي ابنة أخي... وأنوي أن أخذها في عهدتي... فلو أعطيتك المال فستصرفينه بدون شك على أشياء أخرى، وبالرغم من عاطفتك تجاه الطفلة، إلا أنك ستقدرين أن باستطاعتي إعطاءها أكثر مما تستطيعين أنت... مهما كسبت من صحبة الرجال.

صفعته على الفور، كل ما في تفكيرها أن تؤلمه كما آلمها كلامه، وابتعدت عنه خائفة. وحملت الطفلة وضمتها إلى صدرها بقوة. ولاحظت ليزا تعبيراً غريباً يمر فوق وجهه، ولكنه تلاشى قبل أن تحلل ماهيته. وقالت بصوت منخفض تسيطر على كل نبرة فيه:

- ما لدي تجاه بيتسي ليس مجرد عاطفة بل أنا أحبها... وما

من... ما من غريب سوف يأخذها مني... اوه... أعرف أن بإمكانك اعطاءها أكثر مما أستطيع، ولكني أحبها... ألا يعني هذا لك شيئاً؟

فرد ببرود:

- ليس كثيراً... أنت تعرفين أن لدي الكثير من المال، فلوسيان قد أخبرك بهذا، ولا بد أنك فكرت أن الوقت قد حان لتلعبي ورقتك الرابحة. لذلك قررت أن تعلمينا بوجود الطفلة، ما الأمر آنسة كامبرون؟ هل تعبت من العناية بها؟ هل تتوقين للعودة إلى حياتك التي كنت تعيشينها قبل أن يقع أخي الصغير في حبائل سحرك؟

هزت ليزا رأسها... لا يمكن أن يحدث كل هذا! اوه... يبدو أن ملاحظتها عن عدم ثقتها بأبوة الطفلة هو سبب غضبه الشديد هذا... ولكن لو يعطيها الفرصة لتشرح له أن عدم وثوقها يعود إلى أن بيتسي ليست ابنتها... لقد تمادى الأمر كثيراً... فلو قالت له الحقيقة الآن، فسوف يأخذ منها الطفلة. فلا تراها ثانية، فقالت له ببساطة:

- بيتسي هي حياتي الآن. ولن أدعك تأخذها مني.

- لن تتمكني من منعي لو صممت... فلو لم تستطيعي إقناع أحد محبيك بالشهادة لصالحك، فأنا قادر على أن أجد الشهود ضدك وما علي سوى أن أثير الشكوك حول كونك أماً صالحة، وسآخذ بيتسي منك... أتريدين هذا؟

فصاحت به:

- أتظن أن المال يشتري كل شيء سيد كوردوفا؟

- أرجوك نادني بانطونيو... فأي اسم اخر سيكون سخيف في مثل هذا الظرف... وأنا سوف أناديك...؟

- ليزا.

- اسم غير عادي... أعرف أن المال لا يشتري كل شيء. ولكن

www.rewayti.net

في هذه الحالة سيمكنني من الحصول على ما أريد.

فسألته بخشونة، وهي تهز الطفلة التي عادت إلى النوم:

ـ وما الذي تريده؟

ـ أريد أن أصنع مستقبلاً لبيتي... ولا يمكنني أن أفعل هذا بأن أخلعها إلى منزلي كابنة لأخي فالجميع سيعرف عنها ما هي عليه. وهذا ما لا أريده. إنها طفلة جميلة وتستحق أن تعيش حياة صالحة... ولهذا فأنا أتقدم للزواج من أمها... وأسجلها ابنة لي.

٢ ـ امرأة صامتة

حدقت ليزا إلى الغريب برعب وقالت:

ـ ماذا؟ لا يمكن أن تكون جاداً؟

ارتفع حاجباه بعجرفة، وأطبق شفتيه بشدة تعبيراً عن عدم رضاه:

ـ ولكنني جاد تماماً، مع أن القرار النهائي لك. فإما أن تتزوجيني وإما أن تتخلي عن طفلتك.

وضعت ليزا الطفلة في مهدها ثم نظرت ثانية إلى الوجه الأسمر لذلك الرجل الكريه الذي له القدرة على تدمير حياتها، فلم تلاحظ أي لين لديه. من الواضح أنه يعني ما يقوله، ومن الواضح أكثر أنه يريد الطفلة، وإذا قالت له الآن إنها ليست الأم فسيأخذها منها بالتأكيد. فمن الأفضل إبقاء هذه المعلومات لنفسها. وأحست بشفتيها جافتين ووجدت صعوبة في نطق الكلمات، وبللت شفتيها لتسأله بقلق:

ـ لماذا... لماذا تريد أن تفعل شيئاً كهذا؟

فرد ببرود:

ـ ولماذا لا أفعل؟ لا يخطرن ببالك مطلقاً أنني أقوم بهذا لسبب آخر غير تأمين مستقبل بيتي. أنت، كشخص، لا تهمني مطلقاً... فأنا لست معتاداً على البضائع المستعملة.

ـ وعلى ماذا أنت معتاد إذن سيد كورودوفا؟

ـ لا بد أن لوسيان أخبرك؟

بدت عليه السخرية، فاحمر وجهها وأجابت:

www.rewayti.net

- لا... لا أظن أن شؤونك قد دخلت في حديثنا مطلقاً.

وهذا صحيح... فكيف يمكن أن تذكر شيئاً مع رجل لا تعرفه؟

اكفهر وجهه واشتدت زرقة عينيه لكنه بدا هادئاً حين قال:

- يبدو أن لوسيان كان مهملاً فيما يتعلق بعلاقاته، فأنا لم أسمع بك منه كذلك. فما كان نوع عملك قبل أن تلدي بيتسي؟

- عملي كان عارضة أزياء.

- حقاً؟ يبدو أن لوسيان كان يجد الفتيات العاملات في هذا المجال جذابات، لسبب ما... آه... أجل، لقد تذكرت الآن. عندما رأيتك أول الأمر أحسست أنك مألوفة لديّ... لقد ظهرت في دعاية لأدوات تجميل، أليس كذلك؟

وأحست بالتوتر للهجته المحتقرة:

- كان ذلك أحد الأعمال التي قمت بها.

- وهل تحبين العودة إلى مهنتك؟

فهزت ليزا رأسها:

- ليس الآن... لقد فات الأوان. فلديّ بيتسي وهي كل حياتي.

وبدا الضجر على زائرها.

- لست مضطرة للاستمرار في إقناعي بتكريس نفسك للطفلة. لقد أعطيتك فرصة للاختيار... وما عليك إلا أن تختاري.

أخذت ليزا تذرع الغرفة، ثم قالت بإصرار:

- ليس الأمر بالسهولة التي تظنها.

- آه... فهمت... هل لديك... صديق؟

خطر تيد ببالها، ولكنها صرفت النظر عنه، فهو لا يناسب مطلقاً الوصف الذي عناه انطونيو كورودوفا... وقالت:

- لا... ليس لدي صديق.

- أنت تدهشيني.

- لدي صديق... «مجرد» صديق. إلا أنه ليس سبب ترددي، إذ

لا يمكنك صدقاً أن تتوقع مني الزواج من رجل لم أعرفه قبل ساعة، رجل لا أعرف عنه شيئاً، أنت تقول إنك عم بيتسي، ولكن لا إثبات لديّ سوى كلمتك.

فصاح بها:

- لا تكوني هستيرية هكذا! إذا كنت تريدين المعلومات عني، فسأخبرك بكل سرور عن نفسي... فاسمي أصبحت تعرفينه، وأنا في السادسة والثلاثين، غير متزوج. ولديّ أعمال في مختلف أنحاء العالم... معظمها تمويل لمشاريع، وأعيش أساساً في شقتي في نيويورك، وأنا أسباني الأصل. وإذا قررت الزواج مني فسأنقلك للعيش في بلادي، وإلى هنالك أنوي نقل بيتسي على كل الأحوال، مهما قررت أن تفعلي. ولسوف أخصص لها مربية.

- وهذا ما لن يحدث قطعاً... فإذا، وأنا أصر على كلمة إذا سمحت لك بإجباري على هذا الزواج المنافي للعقل، فلسوف أستمر في رعاية بيتسي بنفسي... يا إلهي... كان بمقدوري استخدام مربية لها هنا، والاستمرار في عملي كعارضة، ولكنني لا أؤمن بهذه الطريقة في تربية الأطفال. ومن القساوة فعل هذا لها الآن، لقد أصبحت متعلقة بي جداً.

فهز رأسه قليلاً:

- وهذا بالطبع، أمر مؤسف. يبدو أنه لم يعد لديك الخيار إذن.

ووقف... فسارعت إلى القول:

- أرجوك!... انظر... لا يمكنك أن تهتم ببيتسي وبي فقط؟ يمكن لنا أن نعيش معك، ولكن بالتأكيد بدون الزواج.

- الفكرة تروق لي أكثر منك... ولكن شبه بيتسي بلوسيان ملفت للنظر، ولا يمكن إلا أن تكون ابنته... أو ابنتي. وفي هذه الحالة أفضل أن يظنوها ابنتي. لربما كان للوسيان علاقة عابرة معك ولكن كان له خطيبة في إسبانيا يمكن أن يجرح وجودك مشاعرها. في

www.rewayti.net

بلادكم هذا أمر مقبول، ولكن مثل هذا غير مسموح به في بلادنا.

- هل يجب أن أذكرك أن أخاك هو المسؤول؟ وأنه لا يمكن لو... المرأة لوحدها على وضع شاذ تورطت فيه.

فرد بحزم:

- أعرف هذا. ولهذا أجد أن من واجبي العناية بك وبالطفلة. من سوء الطالع أن هذا قد حدث أصلاً. ولم يعد لوسيان حياً لمواجهة مسؤولياته... ومن واجبي أن أفعل هذا بالنيابة عنه.

- وأنت ألا تظن أن الحب له علاقة بكل هذا؟

حدق إليها بازدراء ثم قال:

- أنت بالتأكيد لا تحاولين القول لي إنك أحببت أخي؟

- من المؤكد أن ولادة بيتسي هو دليل كاف... فما من امرأة تعطي طفلاً فرصة رؤية النور إذا لم تكن تحب والده. أو على الأقل ليست مضطرة. فهذا أمر ليس ضرورياً هذه الأيام.

- ربما هذا صحيح حسب تقديراتكم. ولكن في تقديري أن كل طفل يكون ثمرة الحب أو خلافه له الحق بالحياة... إذن أنت تصرين على أنك لو لم تحبي لوسيان لما حملت بيتسي؟ مع أنك قلت منذ دقائق إنك لست واثقة أنه والدها. فهل أحببت كل الرجال الذين عاشرتهم؟

فردت بخشونة:

- سيد كوردوفا... إذا كان رأيك وضيعاً بي إلى هذا الحد، أليست مخاطرة زواجك مني؟ ألا يمكن أن أؤثر على حياتك؟!

- لن أسمح لك بهذا... فلسوف تعيشين حياة هادئة في بلادي.

- أوه... صحيح؟ وماذا تفعل أنت في هذا الوقت؟

- أعمل... في مكتبي هنا. ونادراً ما أزور المنزل الذي ستعيشين فيه. وما أن تنتقلي إلى هناك حتى أسعى لأن تكون زياراتي إلى هناك أقل. فلست أرغب في أن أتصرف كزوج مخلص دائماً.

- ماذا؟

وبدا عليه نفاذ الصبر:

- سيتوجب علينا إظهار مقدار من العاطفة تجاه بعضنا. ولا حتم كم ستكره هذا.

فهزت رأسها:

- ليس بالنسبة لي... لن أفعل! لن أتمكن من التظاهر بالعاطفة لشخص... أنا...

وصمتت، فأكمل لها:

- تكرهني؟ يمكنك الثقة، ليزا كامبرون، أن المشاعر مشتركة. ولكني أعتقد أن شقيقي كان له بعض العاطفة تجوك ولا أدري إذا كان يعرف ما هي نوعيتك! سأتركك الآن لأقوم بترتيبات الزواج وستعرفين بها لاحقاً.

فتوسلت إليه:

- ألا يمكن أن تعطيني بعض الوقت لأفكر... الأمر كله... مفاجيء!

- ولماذا مفاجيء؟ لا بد أنك توقعت شيئاً كهذا عندما كتبت رسالتك؟

- لا... لم أفعل. لقد ظننت فقط أن شقيقك لوسيان... كان سيساعدني.

- ولماذا احتجت إلى مساعدة هكذا فجأة؟ عمر بيتسي الآن عشرة أشهر، ألم تفكري بطلب العون منه عندما ولدت؟... آه... نسيت! لم تكوني واثقة أنه والدها... ومع ذلك فلماذا ضرورة مساعدته لك الآن؟

- لقد أعطيت إنذاراً بترك المنزل في نهاية الأسبوع، وليس لدي مكان آخر أذهب إليه. واعتقدت أن لوسيان قد يتمكن من مساعدتي لبضعة أشهر إلى أن أدبر أمري.

www.rewayti.net

- والآن عليك إما الاذعان للزواج من شخص تكرهينه، أو أن تخسري الشيء الذي تحبينه... هذا أمر مؤسف. ولكنك أنت من سببت هذا لنفسك، كان يجب أن تعرفي أن لا مستقبل لك مع لوسيان.

- ولماذا كان يجب أن أعرف هذا؟

- لقد كان له خطيبة، والخطوبة مقدسة مثل الزواج في بلادي... لقد قتل قبل زفافه ببضعة أسابيع. ولا تعتقدي أنك الفتاة الوحيدة التي تورط معها. لقد كان في حياته عارضة أزياء أخرى.

- لقد كان إذن مغرماً بخطيبته لدرجة أنه كان يتصرف هكذا.

- الحب؟ وما دخل الحب بالزواج؟ خطيبته كانت فتاة طيبة من عائلة جيدة ومحتشمة، وكان مقدراً أن تعطي زوجها ذرية كثيرة.

- وهذا ما لا يتوفر لدي.

- كما قلت تماماً... من الواضح أن صفاتك الأخرى كانت تعني له في ذلك الوقت أكثر مما كانت إيرينا تستطيع اعطاءه له.

ونظر إلى ساعته بنفاذ صبر:

- لدي موعد هام... أمامك فرصة للتفكير حتى يوم الجمعة ولكن تأكدي، مهما قررت لنفسك، فسآخذ يتشي... وأنت حرة بحياتك.

- ولكن يتشي هي حياتي!

- هذا ما تقولينه أنت... سأزورك ثانية يوم الجمعة.

أحست ليزا بفراغ غريب في الغرفة بعد أن خرج، وحدقت بالباب المقفل. لقد كانت الأمور سيئة لكنها باتت أكثر سوءاً. وانطونيو كوردوفا بإمكانه توفير مستقبل ليتشي لن تستطيع هي أن تحلم به. ولكن هذا يعني الحكم عليها «بالزواج» المؤبد من رجل لم تستطع سوى أن تكرهه.

●●●

وقفت ليزا تنظر من حولها في الغرفة الرديئة التي انتقلت إليها في اليوم السابق. وعندما عرضت عليها مالكة المنزل بلطف أن تعتني بالطفلة وهي تعمل، لم تصدق حظها. لم تكن قد أخبرت أحداً أنها ستنتقل ما عدا بالطبع، السيدة ويتر... فهي لن تجرؤ مطلقاً أن تجازف بمن يلحق بها. فأمثال انطونيو كوردوفا، لديهم الكثير من السلطة، ولسوف يقتفي أثرها، أثر فتاة مذعورة وطفلتها.

لقد كانت مذعورة بالفعل، فهي لن تتمكن من العيش ما تبقى من حياتها متزوجة من رجل بارد متعجرف... إن له مظهر الفهد الموشك على افتراس ضحيته... وأحست ليزا أنها تلك الضحية.

لذلك كانت تقفز فزعة عند سماعها حركة عند الباب. تخشى أن تفتحه ويكون الطارق هو انطونيو كوردوفا في حين أن يتشي لم تتأثر كثيراً بالجو المشحون الذي كان يحيط بها.

وأنزلت ليزا الطفلة لتتركها مع السيدة آدامز، صاحبة المنزل. عليها بعد اليوم أن تخرج باكراً، فالمسافة نحو عملها ستستغرق ضعف الوقت القديم... رب عملها، جورج جوردون، مدير مكتب محاماة صغير، وليزا إضافة إلى أنها سكرتيرته، فهي مساعدته، تقدم له الشاي، وترد على المكالمات، وتقوم بالتنظيفات، وهي لم تكن تمانع، لأنها لا تحب العمل في المؤسسات الكبيرة. وكان لجورج زوجة شابة جميلة وطفلان، ومع ذلك، فقد كان عليه أن يثبت لنفسه، في بعض الأوقات، جاذبيته كرجل... وهذا سبب آخر لعدم ثقتها بمصداقية الرجال.

- صباح الخير جورج.

وضعت ليزا حقيبتها لاهثة إلى جانب المكتب، وعلقت معطفها:

- آسفة لتأخري، كان عليّ شراء بعض الطعام.

www.rewayti.net

ـ لا بأس... مع أنك تبدين تعبة حتى قبل أن تبدأي العمل. ماذا كنت تفعلين؟

ـ لا شيء... ولكن بيتسي بقيت مستيقظة معظم ليلة أمس.

ـ الأسنان!

لقد مر جورج بهذه التجربة مرتين ويعرف كم الأمر متعب. فهزت ليزا رأسها وبدأت تقلب الرسائل أمامها... ثم ابتسمت قائلة:

ـ لا... لم يكن السبب هو أسنانها، فقد قررت عند الثالثة صباحاً أن الوقت قد حان للعب... وعليك أن تقنع طفلة في شهرها العاشر أنك تعب ولا يمكنك اللعب!

فضحك وقال:

ـ أعرف هذا... اسمعي... اتركي هذه الرسائل، وأحضري القهوة.

وقت الغداء، ذهبت ليزا لزيارة صديقتها ليندا... كانت واثقة من أنها لن تتمكن من جلب بيتسي معها بعد أن أصبح سكنها بعيداً. لكن هناك منتزهاً عاما بالقرب من المنزل يمكنها أن تأخذها إليه. فالهواء النقي شيء كان ينقصهما معاً.

خرجت ليزا وليندا للسوق، وأحستا بالارتياح لتجوالهما أمام واجهات الحوانيت، مع أن كليهما لا يمكن أن يتحملا شراء شيء من المعروض فيها.

كان جورج في حالة مزاجية مرحة عندما عادت إلى المكتب بعد فرصة الغداء... وعلمت أنه كان في غداء عمل حيث شرب مع زبون له. وبدون أن تقول له كلمة، حضرت فنجان قهوة مُرّ ووضعته أمامه. فنظر إليها بعينين تبرقان:

ـ ولماذا هذا؟

ـ اشربه يا جورج.. فسوف يفيدك.

ـ وهل تلمحين إلى أنني ثمل؟

ولم تعرف بماذا تجيب، وقررت أن أفضل طريقة هي أن تبتعد عن طريقه، فهو في هذه الحالة يصبح مزعجاً... ولكنها لم تلاحظ حركته السريعة وهو يمد يده إليها ليجذبها إلى ركبته. فصاحت مصدومة:

ـ جورج! توقف عن هذا!

ـ ما الأمر يا فتاتي... ليس من عادتك الاعتراض؟ ماذا عن تلك الـ...

قاطعته صائحة:

ـ لا تجرؤ أبداً على قول هذا يا جورج! لا تجرؤ مطلقاً!

وقاومته لتتخلص منه وتابعت:

ـ أظنك قد قلت ما يكفي!

ـ أوافق معك...

لم يكن صوت جورج. توقفت ليزا عن المقاومة، لسماعها ذلك الصوت الحاد البارد، ورفعت نظرها إلى عينين زرقاوين كريهتين... إنه انطونيو كوردوفا، ينظر إليهما بقرف. وقفت ليزا تسوي ملابسها... فيما نهض جورج على قدميه، وأخذ يتحرك قلقاً تحت نظرة انطونيو الغريب الباردة ثم انفجر قائلاً:

ـ ومن أنت بحق الجحيم؟

دخل انطونيو كوردوفا إلى الغرفة، نظر حوله إلى المكتب الصغير بازدراء وهو يقول:

ـ أنا انطونيو كوردوفا... ولكن مَنْ أنت؟ وماذا كنت تفعل بخطيبتي عندما دخلت المكتب؟

نظر جورج إلى ليزا مذهولاً... وكانت مذهولة هي كذلك...

ثم قال:

ـ خطيـ...؟ انطونيو كوردوفا...؟ لم تخبريني أنك مخطوبة.

ونظر انطونيو كوردوفا بتكبر إلى الرجل المحمر الوجه:

www.rewayti.net

- لم أكن أدري أن على ليزا أن تخبرك ما يحصل في حياتها الخاصة... ما عدا، بالطبع ما يتعلق بتبرير استقالتها.

ونفض عن سترته بقعة خيالية دليل الازدراء... فحدقت ليزا إليه مذهولة. سرورها بدخوله تتخلص من الوضع الذي كانت فيه، انقلب الآن إلى ريبة... فماذا تراه يفعل هنا؟ لا يعرف أحد عنوان عملها إلا إذا كانت السيدة وينتر...؟ ولكن لا... لا يمكن... وماذا يهم كيف وجدها وقد وجدها الآن. وأحست أنه لن ينتظر أكثر من هذا ليسمع قرارها.

ولكن جورج كان مهيناً جداً لها... وتلك الملاحظة التي كاد يبديها حول بيتسي لا يمكن أن تسامحه عليها، وتصرفاته كانت أوقح من أن تستطيع الاستمرار في العمل عنده بعدها. وسأل جورج:

- اية استقالة؟ ليس لديّ علم بذلك!!

رد عليه الرجل الطويل الرشيق ببرودة:

- الاستقالة التي ستسلم إليك اليوم سيد جوردن. ولكن تصرفاتك جعلت هذا غير ضروري. ففي مثل هذه الظروف لا بد وأنك تدرك بأنني مضطر لإبعاد ليزا عن اهتمامك غير المرغوب فيه.

واستدار نحو ليزا:

- هل أنت مستعدة للمغادرة الآن؟

وتحركت متوترة الأعصاب، تلتقط معطفها وحقيبتها ومشترياتها قبل أن تلحق «بخطيبها» وهو يتجه نحو الباب... ولدهشتها وقف جورج في طريقها يمسك بذراعها متوسلاً:

- ليزا... أرجوك!... أنا آسف ليزا... حقاً أنا آسف.

لا بد أن عجرفة انطونيو كانت أسرع من القهوة المرّة في إعادته إلى صوابه فأزاحت يده عن ذراعها:

- لم تكن في كامل وعيك جورج وأعرف هذا. ولكن يجب أن تعرف أنني لن أستطيع البقاء هنا، وقد عرفت ما هو شعورك تجاهي.

تراجع جورج عنها وقد أخافته النظرات الشرسة التي كان يطلقها عليه الرجل الواقف بقربها... وبدا عليه الذهول إذ كيف تمكنت ليزا أن تلتقي بمثل هذا الرجل المهيب. إنه رجل أعمال بلا قلب، وهذا أمر معروف في كل العالم. ثم كيف أمكن لليزا أن تكون قريبة من الطبقة التي يعيش بينها هذا الرجل؟! ولكن ليزا كانت عارضة أزياء شهيرة تخالط الطبقات العليا، قبل أن تلد بيتسي ويمكن أن يكون هذا الرجل هو الوالد. وهذا لن يدهشه، فهو شيطان ارستقراطي وسيم، وليس هناك شك في جمال ليزا.

فتح انطونيو الباب وهو يقول ببرود:

- لو تسمح لنا الآن.

ولم يترك مجالاً لها لتقول شيئاً إلى أن أجلسها في سيارة فخمة متوقفة خارج المبنى... ثم قال بعتجهية:

- الآن يمكنك الكلام.

- ليس لدي شيء أقوله.

ونظر إليها باهتمام:

- إذا كان ما تقولينه صحيحاً، فأنت لا بد امرأة مميزة. أنت أول امرأة التقيها تميل إلى الصمت.

- إذن... لا بد أنك لم تلتق بالكثيرات. فأنا أعرف العديد من النساء يحببن الصمت.

- آه... هذا أمر مختلف. فأنا كذلك أعرف الكثيرات يحببن الجلوس صامتات... ولكن هذا لا يمنع من رؤية أن لديهن الكثير يرغبن في قوله. أما بالنسبة إلى أنني لا أعرف الكثيرات، فأؤكد لك أنني لم أبلغ من العمر ستة وثلاثين بدون أن أعرف تعقيدات النساء جيداً... فأنا، مثلك، لدي كثير من المعارف... إذا صح القول!

- أفهم هذا سيد كوردوفا... أفهمه جيداً!

- لا... لا تفهميه. وهو ليس بالأمر المهم. واسمي انطونيو

www.rewayti.net

فاستخدميه.

قالت، بعد أن استردت السيطرة على عواطفها:

ـ لا استطيع مناداتك بانطونيو. قد تكون عم ليتسي، ولكن هذا لا يعطيك أفضلية خاصة بالنسبة لي. ولو كنت أعرف أنني سأقابلك بدلاً عن أبيها لفضلت ان لا ألتقيك... فطلبي لقاء لوسيان كان وليد حاجة وليس بمحض اختياري.

ـ هل أن موت لوسيان وعدم تمكنه من مساعدتك يقلل من أهمية حاجتك؟ أم أنك تنوين متابعة العيش كما أنت بالكاد تستطيعين إعالة الطفلة؟ أم أنك تفضلين القبول بتحرشات رب عملك لمجرد التمسك بالوظيفة؟

ما من مجال للشك بأن انطونيو كوردوفا غاضب الآن. حتى الآن لم تشاهده ليزا إلا متعجرفاً متحفظاً، بارداً يبعث القشعريرة، ولكنها لم تره أبداً غاضباً... في الغضب كانت عيناه رماديتين بلون المعدن واكتسب وجهه سحراً فتنها. فأجابته ببرود لم تكن تحس به:

ـ قد أتقبل تحرشاتك ببرود أقل.

ولمعت عيناه، وحدق إليها من شعرها الأشقر المحتشر إلى وجهها الخالي من الزينة، ثم ببطء إلى جسدها الجميل النحيل، وقال بغطرسة:

ـ لن تتاح لك مطلقاً أن تقبلي أو ترفضي ملامستي لك. فأنت لا تجذبينني مطلقاً.

ـ يمكنك أن تتأكد أن المشاعر متبادلة.

فقال برضى:

ـ جيد... والآن بعد أن انتهينا من هذه المسألة البسيطة، ربما نحاول بدء حديث غير عاطفي. أريد أن أعرف ماذا ظننت أنك حققت بتغيير سكنك؟

ـ لا شيء... كما هو واضح.

ـ هل أملت أن تجنبني اتخاذ القرار؟ ولكنك بالطبع لم تفكري بشيء عندما أعلم بوجود ليتسي قد لا أتركك بهدوء لتتخذي قرارك؟... إن في طبيعتك عناد صعب يا ليزا كاميرون. ولقد عرفت أنك قد تفعلين أمراً كهذا. لذلك وضعت عليك مراقبة مشددة منذ آخر مرة التقينا.

ـ ماذا؟

ـ لقد كنت مراقبة.

فنظرت إليه بحدة:

ـ إذن كنت تتجسس عليّ؟ وكم من الرجال قيل لك إنني استقبلت؟

ـ واحد فقط، ولم تبدو عليه السعادة عندما ترك منزلك.

ـ أوه حقاً؟ آه يا عزيزي... لا بد أن مستواي يتدنى. فالرجال الذين يزورونني عادة يخرجون وكلهم رضى!

فصاح بها:

ـ ليزا! لن تتحدثي إلي بهذه الطريقة!

ولمعت عيناها الخضراوان بالغضب:

ـ ولمَ لا؟... فهذا ما تظنه بي أليس كذلك؟ أنت تظن أن الرجال يزورونني لغرض واحد فقط!

ـ لم أقل هذا!

ـ لا... بل أنت أوحيت به.

فهز رأسه الأسود:

ـ ليس بالطريقة التي تقولينها... لو كنت أظن هذا، لكان مستقبل ليتسي تقرر فوراً. كنت بكل بساطة سآخذها منك. لا... فأنا أصدق أن لديك عاطفة معينة للرجل الذي... تسعدينه، وإلا لما احتفظت بالطفلة معك، ولكنت أخذتها على الفور.

ـ حسناً... شكراً لك على إيمانك بأخلاقي سيد كوردوفا...

www.rewayti.net

ولكنني لا أحتاج لثقتك هذه، فما تظنه أو لا تظنه لا يهمني كثيراً، ولن أتزوجك ولو لم يبق رجل غيرك على وجه الأرض!

- ولا حتى لأجل الطفلة؟

- ولا حتى لأجلها!

بدون أي معلومات منها، وصل رأساً إلى المبنى الذي تسكن... ثم تبعها إلى الداخل حيث أخذت بيني من صاحبة المنزل وحملتها إلى غرفتها. إنه أجمل وقت لها تقضيه مع الطفلة تلاعبها لأكثر من ساعة، ثم تحممها، وتطعمها، وتضعها في مهدها لتنام... وكانت ... أرادت الطفلة أن تزعجها، فقد أبدت إعجابها بالرجل الذي يراقب... «الماما» فمدت ذراعيها الصغيرتين له ليحملها، فوضعتها ليزا بين ذراعيه. واستدارت دامعة العينين وقد شاهدت الطفلة تعطيه ابتسامتها الملائكية، وتتلقى رقة ولطفاً من تلك الملامح الخشنة المتجهمة.

يا إلهي! كم تلعن نفسها لكتابتها تلك الرسالة!

وسمعته يناديها:

- ليزا!

لم تستدر، محاولة بدون جدوى مسح الدموع عن وجنتيها... وأحست بنفسها تدار بلطف، فارتجفت لملمس يديه القويتين على كتفيها. نظرت إليه عبر بحر من الدموع، فرفع لها رأسها:

- توقفي عن هذا يا ليزا... لا لزوم له، وهو يفسد لك جمالك.

فابتسمت مضطربة للهجته الرقيقة:

- أظن جمالي فسد وانتهى الأمر.

فاستدار عنها قائلاً:

- أنا لم أنكر جمالك مطلقاً. ولم أنكر كذلك أن بيني تشبهك كثيراً. بيني...؟ أليس هذا اسم غريب؟

- انه اختصار لاسم باتريسيا.

- هل أنت واثقة؟

... ما هذا السؤال السخيف؟ هل يتصور أنها لا تعرف اسم الطفلة الأصلي؟

- بالطبع أنا واثقة... لماذا؟

فهز كتفيه...

- لقد كان اسم أمي... ولوسيان كان يحبها كثيراً... وأظنه ... ... كثيراً لدرجة أنه أخبرك باسمها... وهذا شيء لن يخبره إلى ... ...

فردت بحلاوة:

- علاقة عابرة؟ ولكن ماذا يجعلك تظن أنه أخبرني عنها؟ من الممكن أن أكون اخترت الاسم عرضياً.

فهز رأسه:

- احتمال صعب... فهو اسم لا يستخدم اختصاره عادة بهذا الشكل.

ومالت ليزا لتعذيبه، فقد كانت أختي مصممة على الاسم قبل أن تموت. لوسيان كان شاباً يافعاً يسعى وراء المرح، وكانت أختي مرتع مرحه... مسكينة أختي، لقد أعطت حياتها اليافعة الجميلة ضحية نزوات ولد أناني.

سألها انطونيو كوردوفا:

- بماذا تفكرين الآن؟

- كنت أفكر بأنني سأتزوجك رغم كل شيء، ولكن على شرط واحد.

فراجع رأسه متكبراً:

- لا أظنك في وضع يسمح لك بوضع الشروط!

فهزت كتفيها:

- هذا أمر راجع لك، بالطبع. ولكن شرطي هو هذا، لن ترميني إلى النسيان على هامش حياتك وكأنك تخجل بي فإذا كان هذا

www.rewayti.net

سيحصل، فمن الأفضل لي وللطفلة أن نستغني عنك. وإذا كنتِ ستصبح زوجين، فأنا أصرّ على أن نعيش في المنزل نفسه.

- لن تصرّي على شيء! ستفعلين ما تؤمرين به! أنت تعرفين جيداً أن لا رغبة لديّ في مشاركتك المنزل نفسه... أم أنك قررت إغواني؟

- بالطبع لا...! فهذه آخر فكرة قد تخطر ببالي... ولكن إذا كنا ننوي الزواج لتوفير منزل مستقر لبيتسي، فأنا أعتقد أن من الأفضل... لها... لو أن أمها وأباها يعيشان معاً. أم أنك تنوي أن تكون مجرد طيف يظهر في حياتها كل ستة أشهر ليمطرها بالهدايا؟

- لم يكن هذا قصدي، وكذلك لن يكون قصدي أن أعيش معك... يجب أن تفهمي أن هذا مستحيل.

أوه... إنها تفهم... وهذا ما يجعل الموضوع صعباً.

- إذن فأنا أخشى أن تكون فكرة الزواج مستحيلة كذلك.

- أوه يا إلهي... تتكلمين وكأنني أنا المسؤول عما أنت فيه.

صاحت بعصبية:

- أوَ ليس كذلك...؟ أليس لوسيان شقيقك؟ ألم يكن سيفعل ما ستفعله أنت لو أنه حي؟ أليس كذلك؟

تصلبت ملامح وجهه:

- أنا لم أرفض مطلقاً مواجهة مسؤولياتي، ولكان لوسيان وفّر لك كل شيء لو أخبرته عن... وضعك.

- وإذا كنت لم أرد إحسانه؟

- إذن كنت عنيدة إضافة إلى الغباء... ولكن مهما يكن، لن أستطيع العيش معك.

ردت ليزا بسخرية:

- أوه... لا تأسف على شيء... كنت أعرف أن هذا سيكون ردك، ولذا فأنا لن أستطيع الزواج منك. إذا شئت أن تقاضيني حول

حضانة الطفلة فهذا عائد إليك... ولكنني سأقاومك، أحاربك.

أوه... أجل... سأحاربك! ولا أظنك ستحب الدعاية التي ستثار حول اسمك.

- ربما لن أحبها، ولكنني سأربح في النهاية.

- بالطبع... ولكن هل أنت مستعد لدفع بيتسي في هذه التجربة؟

ونظر إليها بغضب ونفاذ صبر لابتزازها هذا:

- وأنت؟... أوه حسن جداً؟ ستشارك المنزل نفسه... وسيكون المنزل الجديد في ضواحي تورنتو... فلي ارتباطات عمل هنا ولا أستطيع العيش بعيداً عن كندا.

ذهلت ليزا... خطتها قد انقلبت عليها، ولم تكن تتوقع قبوله. لقد اعتقدت أنه سيتخلى عن فكرة الزواج، ولكن الأمور أصبحت الآن أكثر سوءاً. فهي مضطرة الآن لمشاركته المنزل نفسه... وارتجفت لهذه الفكرة... فقالت مفكرة:

- هاه... ربما... ربما أنت على حق... ربما من الأفضل أن نعيش منفصلين.

- لا... أنت على حق... بيتسي تحتاج إلى والديها معاً.

وأحست ليزا بهبوط يبعث السقام في معدتها... إلى ماذا تراها انقادت؟

• • •

www.rewayti.net

٣ - لا تعتذري

أخذت بيتسي تحبو حول مقعد ليزا الطويل في الحديقة، فيما ليزا تناغيها وتلاعبها... هكذا كانتا تقضيان فترات بعد الظهر، وما هي إلا بضعة أسابيع حتى استعادتا النضرة والصحة.

لقد مر ثلاثة أسابيع على زواج ليزا من انطونيو كورودوفا، او طوني كما بدأت الآن تناديه. ومع أنهما لم يكونا متصادقين، إلا أنها لم تستطع أن تنادي زوجها بالسيد كورودوفا. والسيدة هوايت، مديرة المنزل التي تعاقد معها انطونيو، قد تجد هذا غريباً. الأكثر غرابة هو نومهما منفصلين، فمع أن غرفتي نومهما كانتا متصلتين إلا أن الباب بينهما كان موصداً بإحكام. كانت واثقة من امتلاك طوني للمفتاح إلا أنها لم تره أبداً.

وهكذا سار كل شيء بنعومة وفعالية... وكان يمكن أن تحصل ليزا على سعادة كاملة لولا الزوج غير المرغوب فيه. ومع أنه لم يكن يقول لها أي شيء، إلا أنها كانت دائماً تحس برفضه الصامت لها، وأنه إنما تحمل وجودها لأنها أثبتت بجدارة أنها أم مثالية، ولا يمكن له إنكار تعلق وحب الطفلة لها.

حركة خفيفة عند مدخل المنزل استرعت انتباهها، ووجدت نفسها تحدق إلى زوجها الذي أخذ يقطع المسافة بينهما بخطوات عريضة سريعة، ولكن عينا ليزا كانتا مسمرتين على الشقراء الطويلة التي كانت تتعلق بذراعه وهي تضحك بإغراء في وجهه.

وضحكت الطفلة لـ «دادي» المحبوب وهو يرفعها عن الأرض ويشير بها في الهواء ليثير الفرحة في وجهها الصغير المشابه لشكل قلب.

راقبتهما ليزا مذهولة، فمع بيتسي كان طوني رجل مختلف تماماً، وتقدم نحوها وبيتسي لا زالت بين ذراعيه والفتاة الشقراء إلى جانبه. وكبتت ليزا شهقة وقد تعرفت إلى وجه الشقراء الجميلة ميرا تريستال التي اتسعت عيناها بالدهشة وهي تتعرف إلى ليزا:

- ليزا... حبيبتي! ماذا تفعلين هنا؟ بالطبع لست مربية حبيبة طوني الصغيرة؟

واحمر وجه ليزا بقوة... هي وميرا تريستال لم تكونا يوماً صديقتين... فهي فتاة متقلبة لاذعة، ما عدا في صحبة رجل وسيم، عندها هي طيعة تريستال. وردت عليها ببرود وهي تنظر بحدة إلى زوجها:

- لا يا ميرا... أنا لست المربية عند طوني.

توقف طوني عن دغدغة الطفلة لينظر إليهما ويقول:

- ليزا زوجتي يا ميرا... ظننت أنك عرفت هذا.

ضاقت عينا ميرا:

- زوجتك؟ ليزا زوجتك؟ قلت إنك متزوج يا حبيبي، ولكنني لم أعرف أنك متزوج من ليزا. ولكن يبدو من الطفلة التي بين يديك أنكما تعرفان بعضكما منذ زمن... إذن لهذا السبب اختفيت فجأة يا ليزا!

حدق بهما طوني مستغرباً:

- وكيف تعرفان بعضكما؟

فضحكت ميرا:

- كلانا عارضة أزياء يا حبيبي... على الأقل كنا هكذا، ألم تدر أنك سرقت إحدى أكثر العارضات شهرة وطلباً في العالم؟ مع أنني لا

www.rewayti.net

أمانع، فلقد خفت المنافسة من أمامي.

فرد طوني بنعومة:

- لست بحاجة للخوف من المنافسة، فأنت جميلة جداً.

ابتسم للخادمة بيت وقد جلبت لهم صينية عليها ثلاثة أكواب عصير الليمون المثلج، ثم قال للفتاة الصغيرة:

- أرجوك خذي الطفلة لتحميها الآن، ولسوف أصعد وأ... لرؤيتها فيما بعد.

وأراح نفسه على مقعد بين المرأتين، وأعطى كل واحد منه... كوباً:

- لقد قلت للسيدة هوايت أن لدينا ضيفاً على العشاء الليلة... ليزا. وستبقين معنا ميرا، بالطبع؟

وضعت عارضة الأزياء ساقاً بديعة فوق أخرى:

- سيكون هذا رائعاً يا طوني، ولكن لا تركيني أزعج واجبات... المنزلية، يا ليزا. فأنا واثقة أن زوجك الرائع هذا وأنا لدينا أشـ... كثيرة نتحدث فيها.

واستفاقت ليزا من عالم أحلامها على لهجة الفتاة التي تحاو... صرفها. قد تكون موجودة هنا رغماً عنها ولكنها لن تقبل أن تظهـ... كالغبية في منزلها... ما هو الدور الذي تلعبه ميرا في حياة طوني... إذا كان هو الدور الذي تفكر به، فلا يحق له إحضارها إلى هنا... فالتوافق مع عشيقاته ليس جزءاً من إتفاقهما. وردت ببرود:

- إنه أمر عادي أن تحمم بيت الصغيرة.

واحتست ميرا قليلاً من العصير:

- هكذا إذن... كم كنت أحمقة لسماعي الخبر عن أنجي.

أجفلت ليزا، ونظرت بتوتر إلى طوني... ميرا لن تعرف مطلقاً خطورة الموضوع المتفجر الذي تخوض فيه... وأجابتها بهدوء:

- شكراً لك... لقد شاهدت صورك الملتقطة لك في إفريقيا،

... رائعة... عظيمة فعلاً... هل كان المصور ريك جونز؟

وتجاوبت ميرا مع الاعجاب:

- صح... إنه حقاً ممتاز. في الواقع كان مقرراً أن تلتقط أنجي ...ـك الصور، ولكنها تراجعت في آخر لحظة، أظن أن هذا حدث ...لما مرضت.

وكان طوني يراقبهما، وتقلبت ليزا في مقعدها قلقة:

- أجل... أجل... أذكر هذا.

لقد كان على أنجي أن تلغي المهمة لأن بطنها أخذ ينتفخ، ولم ...ـب في أن يلاحظ أحد حالتها. وسألتها ميرا بفضول:

- مما كانت تشكو حقاً؟ سمعت أنها ماتت ولكنني لم أعرف ...؟

وعلمت ليزا أن وجهها شحب، ولكنها لم تستطع إخفاء تكدرها. ... مرت أشهر طويلة لم يجروء خلالها أحد من معارفها أن يذكر ...ـرت أنجي أمامها، فالذكرى لا زالت مؤلمة... وأخذت تشرح ...متقطعة الأنفاس:

- لقد كانت... كانت مريضة لعدة أشهر قبل وفاتها؟

- أعلم ولكن ما سبب وفاتها.

وحاولت ليزا التفتيش عن رد... فالحقيقة إذا انكشفت ستذهب ...ـر ما فعله أدراج الرياح:

- إنها... أنا...

وتدخل طوني بسهولة:

- أرجو أن تعذرينا ميرا... فزوجتي وأنا يجب أن ندخل لتمنى ... ليلة سعيدة. هل ستكونين على ما يرام ونحن نلقي نظرة على ...؟

وتمطت ميرا كالقطة:

- أجل... عظيم يا حبيبي. ولكن اسرعا.

www.rewayti.net

أمسك طوني بذراع ليزا بقوة وهو يقودها إلى الداخل وأدخلها إلى غرفة النوم بدلاً من غرفة الطفلة وأجلسها بقوة فوق الكرسي، وقال لها وعيناه الرماديتان تبرقان:

ـ والآن... أريد معرفة من هي أنجي هذه.

ـ كانت... كانت صديقة لي.

ـ وصديقة حميمة حسبما سمعت.

فتنهدت ووقفت:

ـ حسناً... كانت صديقة حميمة... هل اكتفيت الآن؟

ـ لا... لم أكتفِ... لقد كان أخي يعرف فتاة اسمها أنجي... فماذا حدث؟ هل كنتما تمرران اصدقائكما من فتاة إلى أخرى؟

وشحبت ليزا أكثر... إذن لقد ذكر لوسيان أنجي لشقيقه... وهذا شيء لم تفكر به من قبل. وعليها من الآن وصاعداً أن تكون حذرة وإلا ستوقع بنفسها... وردت عليه متصنعة الغضب:

ـ لا... لم نكن هكذا... لقد خرج معها شقيقك بضع مرات... ولكن هل تتفضل بإخباري لماذا جئت بذلك... تلك المرأة إلى هنا؟ أم أنك عادة تستقبل عشيقاتك في منزل عائلتك؟ لأنك إذا كنت تفضل هذا سأطلب تغيير هذا الأمر. بإمكانك أخذها إلى الشقة الأخرى، فربما لا يهمك تهامس الخدم هنا... ولكنني أهتم بكل تأكيد!

الصمت الذي ساد كان يحطم الأعصاب، الدليل الوحيد أنه سمع ما قالت كان تزايد النبض فوق أوداجه وازداد توترها بازدياد طول الصمت. وأخيراً قال:

ـ إذن أنت تعتقدين أنها عشيقتي؟ وما الدليل الذي بنيت عليه هذا الاعتقاد؟

فردت عليه ببرود:

ـ تبدو وكأنك تتلو مرافعة كالمحامي، لست بحاجة إلى دليل يا

طوني فعلاقتكما واضحة... وهي التأكيد لم تأت إلى هنا لتراني... حتى أنها لم تكن تعلم أنني زوجتك. وأعتقد أنه من المفروض أن أكون شاكرة لمعرفتها بأنك متزوج حتى... ولو ظننت أنني العربية.

ـ وهذا أمر مدهش... أليس كذلك؟ لك مظهر البريئة العذراء، وهذا أمر مخادع. ولكن العديد من النساء قد يعتبرن غلطة ميرا اطراءً لهن.

ـ أنا لست كالعديد من النساء! وغلطتها لم تكن تعني الاطراء. فأنا أعرفها لزمن طويل ولن تخدعني بابتسامتها المصقولة. لقد كانت تحاول أن تجعلني أحس بأنني وضيعة. ولقد نجحت.

ولدهشتها ابتسم، أو ما بدا لها كالابتسامة:

ـ لست بحاجة لأن تشعري هكذا، وأنا أعرف تماماً أخطاء ميرا. ولكنني لن أقبل أن تقولي إنها عشيقتي. فهذا أمر ليس صحيح. لقد كانت صديقة للوسيان.

يا إلهي... ذلك الفتى يبدو أنه فعلاً كان لعوباً:

ـ واحدة أخرى!

فهز رأسه وقال بحزن:

ـ أجل واحدة أخرى.

ـ ولكنها الآن... صديقتك... صحيح؟

ـ غلط! فلقد كانت ميرا تعمل خارج البلاد لسنة أو أكثر، ولم تتح لها الفرصة لتعزيني بموت لوسيان. ولم أستطع سوى أن أعرض عليها ضيافتنا نظراً للظروف... وها قد بدا واضحاً أنكما تعرفان بعضكما.

فتمتمت متصلبة:

ـ لست بحاجة لتفسير دوافعك لي. لقد طلبت منك فقط أن لا تأتي بعشيقاتك إلى هنا. فهل هذا كثير؟

تقدم طوني خطوة مهددة نحوها:

www.rewayti.net

- ميرا ليست عشيقتي! وأرجوك أن تكوني أكثر تهذيباً تجاه ضيفة في منزلك.

- هذا ليس منزلي... أنا فقط مسموح لي بالبقاء فيه! قد أتحملها إذا أردت. ولكن لن تجبرني على أن أكون مهذبة مع ضيفة لك. فأنا لا أحب ميرا ثريستال... ولم أحبها من قبل.

- لا تكوني كالأطفال.

- ولكنني هكذا...

أحست بالإحباط من معاملتها كضيفة في منزلها خلال الأسابيع المنصرمة، وتفجر ما بداخلها:

- أنت تعاملني كغريبة، وبالكاد تكلمني، ولا تمضي أي وقت معي. فكيف لا أكون كالأطفال وليس هناك سوى طفلة أكلمها طوال اليوم؟ أكره الحياة هنا! أكرهها!

اختنق صوتها بالبكاء... وتماسك زوجها بكبرياء، وأخذ ينظر إلى رأسها المنحني... ثم قال بهدوء:

- كنت تعلمين أن الأمر سيكون على هذا المنوال. ولكن يمكنك التحدث مع السيدة هوايت وبيت.

فلمعت عيناها بالغضب ونفضت شعرها إلى الوراء:

- اوه... بلى... بالنسبة لهما أنا سيدة هذا المنزل. شخص سيخضعان إليه. ولكن لا يتحدثان معه. وبالنسبة لك أنا مجرد وضيعة، لها طفل بدون زواج، وفي نظرك هذا يجعلني غير مؤهلة لاهتمامك!...

وتلاشى صوتها عندما تهاوت يده السمراء لتصفعها... فارتفعت يدها إلى وجهها وحدقت إليه مذعورة، ودموع الألم تندفع من عينيها. فتمتم بلغته «اوه! دابوس» وأحست بذراعيه وهي تقاومه لتفلت منه:

- أنا آسف... آسف جداً!

فهزت ليزا رأسها وحدها بؤلمها:

- لا... انك لست آسفاً... فاتركني... اتركني!

وقال بصوت عميق تخنقه المشاعر:

- لا... أرجوك ليزا! كنت تقولين أشياء ليست صحيحة، وكانت هذه الطريقة الوحيدة التي أعرفها لاسكاتك... حسناً، ربما لم تكن الطريقة الوحيدة... ولكنني أظن أنك كنت ستكرهين الطريقة الثانية أكثر.

فسألته متحية:

- أي... أي طريقة!

- أنت تعرفين أن القبلة أيضاً توقف الكلام الهستيري. ولكن أظن، في حالتنا هذه، كانت ستزيد الأمور سوءاً.

ورفع رأسها بأصابعه:

- ابتسمي ليزا! هيا... ابتسامة لي. وإذا لم يكن لي، فلنفسك! أنت أكثر جمالاً فلا تكدري نفسك هكذا.

مسحت ليزا دموعها، دموع الصدمة أكثر منها دموع الألم. وقالت:

- أنا آسفة... لست عادة... متفعلة إلى هذا الحد.

- وأنا لست بهذه القسوة عادة. لعل الذي مرّ بك خلال سنة جعلك متوترة، ومن الأفضل أن لا تكبحي مثل هذه المشاعر... والآن هل أنت مستعدة لقول «تصبحين على خير» لطفلتنا الصغيرة؟

فهزت ليزا رأسها، وأرجعت شعرها إلى الوراء وقالت بصوت مختنق:

- لا بد أنني أبدو فظيعة.

ومسح لها دموعها... وبشكل غريب، وجدت لمسته لذيذة. وقال:

- مهما يكن يا ليزا، أنت جميلة جداً ولا يمكن أن يبدو عليك

www.rewayti.net

شيء آخر. وأنت محيرة كذلك!

- أنا؟... ولكن لماذا؟

تفحصها طوني متفكراً:

- أنت لغز غامض. في لحظة أعتقد أنني أعرف من أنت بالضبط، وما أنت عليه، وفي اللحظة التالية أضطر لمراجعة كل آرائي حولك بالكامل... فماذا أنت... ليزا... هل أنت بريئة ساذجة أم مجربة؟

ضحكت بثقة:

- قليل من الاثنين كما أظن. فلدي بيتسي لتبرهن التجربة، وأخشى أن عليك تصديق كلمتي بالنسبة للبراءة.

شاهدت وجهه يتصلب من جديد، ودخلت البرودة إلى عينيه، حتى أنها كرهتهما، إنها تعلم أن أية امرأة لن تتاح لها الفرصة لمقاومته... ولكن هي ستفعل! ولكن ماذا دهاها؟ إنها تكرهه أليس كذلك؟ إنها تكره ما فعله شقيقه بشقيقتها؟

- إذا كنت قد سيطرت على نفسك تماماً الآن، فهل نذهب لرؤية بيتسي؟

رؤية الطفلة بهذه السعادة، تستأهل عذاب الزواج من رجل لا تحبه، ولا يمكن لها أن تحبه، ولن يحبها هو بدوره... وحملت الطفلة من يد بيت:

- مرحبا يا حلوتي... هل كنت فتاة طيبة؟

تقدم طوني ليقف إلى جانبها، وفكرت ليزا أن أي شخص ينظر إليهم سيظن أنهم يعيشون بسعادة. وكم سيكون مخطئاً في تقديره!

مدت الصغيرة يديها نحو طوني وتمتمت:

- دا... دا... دا... دي.

وأحست ليزا، ولو لم تشاهد، بنظرة الحنان التي مرت على وجهه وهو يحمل الطفلة بين ذراعيه... وسألها متوتراً:

- من أنت من علمها قول هذا؟

رفعت ليزا رأسها:

- أنا... أجل لقد فعلت!

- شكراً لك.

وأدارت وجهها عنه وهي تحس باختناق... فلاوته لم يكن سببها الغضب بل التأثر من مناداة بيتسي... وهمست:

- وهل ترغب... في وضعها في الفراش بينما أغير ملابسي للعشاء. لن أتأخر.

صممت أن لا تتفوق ميرا تريستال عليها... فأحد الأشياء التي أصر عليها طوني، هو أن يشتري لها الكثير من الملابس الجديدة، لذلك قررت أن ترتدي ثوباً جديداً للعشاء الليلة. وكان اختيارها الأفضل.

طوني وميرا كانا مستغرقين في الحديث عندما دخلت ليزا غرفة الجلوس. حتى أنهما لم يلاحظا وجودها لعدة دقائق. وهذا ما أعطاها الفرصة لمراقبتهما بدون أن يشعرا بهذا. على الرغم مما قاله لها طوني، إلا أن ميرا بدت أكثر من صديقة لأخيه.

وسارعت للكلام قبل أن يلاحظ وجودها أحد منهما:

- مساء الخير. أرجو أن لا أكون قد أبقيتكما بالانتظار.

وقف طوني بحركة سريعة، وعيناه تجولان بإمعان فوق جسدها الجميل... كانت المرة الأولى التي يعترف بها، بطريقة ما، أنها جذابة... صحيح أنه قال لها إنها جميلة، ولكنه قالها بطريقة باردة، وكأنه يتحدث عن الطقس... ولكن النظرة في عينيه الآن كانت لرجل يجدها مرغوبة.

وتقدم منها ليقبلها على خدها، وهو يشد على ذراعيها وكأنه يخشى أن تبعد نفسها عنه:

- هل لي أن أقول كم أنت جميلة الليلة يا ليزا؟ أرجوك أن تهتمي

www.rewayti.net

بميرا ريثما أستحم وأغير ملابسي. لن أتأخر.

ونظرت ليزا إلى الفتاة بعد أن خرج طوني:

ـ إذن... كيف تقضين هذه الأيام؟

ـ بالعمل بالطبع... أجد البقاء في المنزل أمر مضجر... وبطريقة ما لم أتصورك في دور الأم المخلصة.

ـ لم أكن أعلم أنك تفكرين بي أصلاً.

فابتسمت ميرا بفتور:

ـ ولم أكن لأفكر يا حبيبتي... ومع ذلك فقد دهشت... مع أنني لا أتصور أن يسمح طوني لزوجته بفعل أي شيء سوى البقاء في المنزل... ولا بد أنك كنت تعرفين لوسيان أيضاً... كان شيطاناً وسيماً، أليس كذلك؟ ولكنه ليس بفتنة أخيه... طوني رجل كامل أليس كذلك؟ إنه مثال للرجل الكامل...!

فردت عليها متصلبة:

ـ من تتحدثين عنه هو زوجي يا ميرا.

ـ اوه أعلم هذا. ولكن هذا لا يمنعه من أن يظل ذلك العاشق. ولا يمنعه من رؤية امرأة جميلة.

ابتسمت ميرا بخبث، فردت ليزا ساخرة:

ـ أنت بنفس التواضع الذي أعرفه عنك. وأنت بالتأكيد تمارسين المهنة الخاطئة. فبغرور كغرورك أنا واثقة من أنك ستنجحين في مهنة أكثر كسباً للمال من عرض الأزياء.

فابتسمت ميرا قليلاً ثم قالت:

ـ لست أنوي البقاء عارضة إلى الأبد... اوه لا يا ليزا. سأكون ذكية مثلك وأتزوج رجلاً ثرياً. على فكرة... كيف استطعت فعل هذا؟ لا أتصور كيف تمكنت من اللقاء بطوني، فأنت لم تحضري أبداً تلك الحفلات التي كنا نحضرها للبحث عن زوج ثري.

ـ أنا لم أحتج أن أبحث عنه... هو من وجدني.

وكان هذا جزئياً أمر صحيح. فسألتها ميرا:

ـ حقاً؟ ومنذ متى أنتما متزوجان؟

ورد عليها طوني وهو يدخل الغرفة:

ـ منذ فترة قصيرة... أليس كذلك يا حبيبتي؟

وابتسم لها، فاحمر وجهها تحت نظرة الفتاة المتفحصة، وحاولت الابتسام لزوجها:

ـ هذا صحيح طوني... منذ فترة قصيرة.

إنها تعلم أنه أصر على تمثيل دور الحب أمام الناس إلا أنها أحست بالتوتر لتمثيلها هذا الدور أمام ميرا، النافذة البصر... ثم أكملت:

ـ هل كانت بيتسي نائمة عندما نزلت إلى هنا؟

وبدت الابتسامة الطبيعية على وجهه، تلك الابتسامة التي لا تظهر إلا عندما يفكر بالطفلة:

ـ أجل... وكانت تبدو جميلة... كأمها تماماً.

فأحنت رأسها:

ـ شكراً لك.

فقال بيرود:

ـ أنا أقرر الواقع. هل تذهب الآن إلى غرفة الطعام؟

كانت ليزا في فراشها تحاول النوم عندما سمعت صوت محرك سيارة طوني القوي، إنها الواحدة فجراً، لقد مضت ساعتان منذ خرج ليوصل ميرا إلى منزلها... ولا يلزمها الكثير من الخيال لتعرف ماذا حدث في هذا الوقت. وجلست في فراشها تغطي نفسها بالأغطية... كيف يجرؤ على هذا! كيف يجرؤ على الاتيان بهذه المرأة إلى هنا ثم يقضي ساعتين معها... لوحدهما! من المفترض أنه زوج سعيد!

خرجت بغضب من الفراش بعد سماعها صوت خطوات طوني الثابتة الخافتة في الغرفة المجاورة. وارتدت روبها الحريري، لتخرج

www.rewayti.net

إلى الممر وتفتح باب غرفة نومه.

وتطلع طوني إليها، عيناه تضيقان بتساؤل. ثم استوى في وقفته:

ـ هل تريدين شيئاً ليزا؟ أم أنها مجرد زيارة؟

فبرقت عيناها ودخلت الغرفة، غير عابئة بثيابها الشفافة:

ـ لا تكلمني بهذه الكبرياء طوني... لن أتحملك! لقد سألتك ما إذا كانت ميرا عشيقتك، وقلت إنها...

فأكمل كلامها بغيظ:

ـ ليست عشيقتي... ولا زالت ليست عشيقتي!

كان ينظر إليها بعينين تلمعان بانفعال غريب لم تفهمه، وتابع كلامه:

ـ فما هي الأفكار التي استنتجتها في هذا الرأس الجميل؟ هل تصورت أنني أخذتها إلى منزلها، لأغازلها وأطارحها الغرام، ثم أعود بكل هدوء إلى هنا؟ أهذا ما تفكرين به؟

وقفت ليزا متصلبة، ونظرتها متحدية:

ـ ولمَ لا؟ أم تظن نفسك أرفع مقاماً من هذه التصرفات؟

ضحك ضحكة شيطانية قبل أن يتجهم وجهه من جديد:

ـ اوه لا... ليزا. أنا لست كذلك... ولكن إذا طارحت امرأة جميلة الغرام، فلن يكون هذا على عجلة وبالاختباء عن الناس... هل تعتقدين حقاً أن ميرا تتخلى عن واجهتها الجميلة لتعطي جسدها لعاطفة عابرة. لا أتصور هذا. إنها تضع قناعاً من الجمال، وبدون الاتزان ومظاهر التكلف الرفيع المستوى... تصبح لا شيء. ثم تذكري أنني رجل متزوج.

ـ من الواضح أنك لا تعرف ميرا كما ظننت أنك تعرفها، لو أنك ظننت أن واقع زواجك قد يمنعها عنك. إنها من النوع الذي يفتش دوماً عن ثري يحميها إذا لم تجد لها زوجاً. وأظنها قد قررت أنك توافق متطلباتها.

ـ أوليس لي رأي في الموضوع؟

ـ من الواضح، لا...

ـ هكذا إذن! ألهذا اقتحمت عليّ غرفة نومي في ساعات الصباح الأولى والشرر يتطاير من عينيك؟ وهل تظنين دخول غرفة... حيوان... أمر آمن فأنا أظن أنك هكذا تظنيني، أليس كذلك؟ تظنين أنني رجل يتصرف كالحيوان، ويحصل على رغباته أينما وجدها؟

وتحركت ليزا غير مرتاحة، وقد أدركت مدى غضبه منها:

ـ لا... أنا... أنا لم أعنِ... أنا...

ـ أعرف تماماً ما تعنينه يا ليزا. والآن هل تمانعين الخروج من غرفة نومي، أم أنك تنتظرين التحقق من صدق تخميناتك عني؟

ـ تخميناتي؟

أخذت ترتجف، وتشد روبها الشفاف فوق جسدها... فقال بحدة:

ـ اوه... أجل. لقد أوضحت تماماً ما تتوقعينه مني، فهل أنت واثقة أنك بأمان في صحبتي؟

فضحكت متوترة:

ـ أنت تسخر مني؟

ـ هل يبدو عليّ هذا؟

ـ أنت تعرف أنك تسخر. فأنت لم... حسناً، أنت لم تقترب مني قبل الآن.

فضحك بخشونة:

ـ ماذا تظنين بي؟ أنت من ولدت ابنة لأخي، ولا يمكنني لمسك ولو توقفت أنفاسي.

ـ أنا... أنت...

مرر يداً مرتجفة فوق شعره:

ـ أرجوك ليزا... اخرجي من هنا! لست أدري ماذا تريدين.

www.rewayti.net

- أنت... أيها الخنزير! أنا لم أدخل إلى هنا إلا لأقول إن تصرفاتك تثير الاشمئزاز!

- حقاً؟ حسناً... رأيك لا أهمية له. فأنا أعيش حسب مقاييسي الخاصة.

- وماذا عن بيتسي؟

- وماذا بها؟ إنها تلقى عناية ممتازة، يدللها ويحبها جميع مَن هم حولها. فلماذا تهتم لواقع أن والداها لا يحبان بعضهما؟ هيا الآن ليزا... مع أنك لم تحبي أخي، فبإمكانك رؤية ابنته تنشأ بالطريقة التي كان يرغب بها.

- بالطبع أرى هذا! وكذلك قلت لك إن بيتسي هي وليدة الحب. أم أنك نسيت؟

- لا... لم أنس. ولكنني أجد هذا صعباً على التصديق. فقد كنتِ أكثر نضوجاً منه.

- ألا تظن أن إنجاب طفلة، والاضطرار إلى رعايتها وحيدة أمر يكفي لأي كان بأن ينضج؟

ومرت نظرة ألم على وجهه:

- أنت تعرفين أنني كنت سأساعدك لو عرفت بوضعك. حتى ولو لم يفعل لوسيان هذا. فتركك لوحدك تحملين العبء يخالف كل ما اؤمن به.

فقالت بمرارة:

- وهكذا تزوجتني... مسكين يا طوني... أنت مستعد للمضي حتى النهاية لحماية اسم عائلتك، حتى في الزواج من فتاة لا تعرفها. فتاة ليست متأكدة أن شقيقك والد ابنتها.

فتجهم وجهه:

- أتمنى أن لا تتفوهي بمثل هذه الملاحظات. لقد سبق وقلت لك ان الشبه العائلي للطفلة أمر واضح، وإذا لم تتمكني من رؤية هذا

بنفسك أنت إذن عمياء.

قالت مفكرة:

- إنها تشبهك... أوافق.

ونظر إليها بحدة:

- وتشبه لوسيان!

- طبعاً لوسيان كذلك، فهذا ليس بحاجة لسؤال.

- ولماذا؟ إنها لا تشبهه كثيراً، في بعض الأشياء فقط. فالأطفال عادة لا يشبهون آباءهم بقدر ما يشبهون أقرب الأقرباء.

إنها تعرف هذا... اوه نعم... إنها قطعاً تعرف هذا!

- أعرف... ولكن إذا كانت بيتسي تشبهك فمن البديهي أن تشبه لوسيان. أليس كذلك؟

وتابع بفك ما تبقى من أزرار قميصه:

- هكذا إذن... والآن إذا كنت قد انتهيت أرغب في النوم.

- اوه... اوه... طبعاً.

استدارت نحو الباب، ثم قالت:

- أنا آسفة لازعاجك.

- لا بأس في هذا. وأرجو أن تكوني راضية الآن. فأنا لا أنوي القفز إلى فراش ميرا لا الآن ولا في المستقبل... وأرجو أن تتوقفي عن الاعتذار فهذا لا يناسبك.

- أنا آسفة... اوه!

فقال قلقاً:

- أرجوك اذهبي فقط. فلقد أمضيت يوماً متعباً، والجدال معك ليس مريحاً.

- أنا...

وقطعت كلامها بعد أن أدركت أنها كانت على وشك الاعتذار مرة أخرى... ثم تمتمت:

www.rewayti.net

- تصبح على خير.

فرد عليها بلطف:

- تصبحين على خير.

• • •

٤ - مرض ووساوس

استفاقت ليزا في اليوم التالي وهي تحس بصداع حاد وحنجرة ملتهبة. وتنهدت بائسة. أليس من المفارقات العجيبة أنها لم تمرض مرة واحدة خلال أشهر الحرمان التي مرت بها!! وها هي الآن تعيش في أحضان الثراء، إذا صح التعبير، فيعاودها مرضها القديم، التهاب اللوزتين.

سحبت نفسها بضعف من السرير لترتدي ملابسها... الساعة تجاوزت الثامنة ومن المدهش أن بيشي لم تبدأ بالصراخ الذي يثير المنزل.

لكنها تهاوت من جديد في السرير، فجسدها أضعف من أن يتحرك. راودها شعور بالسخف! أيضعفها مجرد حلق ملتهب وصداع... وسرعان ما غلبها النوم ثانية. لتستفيق فجأة على طرق خفيف على بابها... فنادت بصوت متحشرج:

- ادخل.

دخل طوني الغرفة وقد حمل بيشي بين ذراعيه، فيما حاولت ليزا أن تختفي تحت الأغطية، ولم يلحظ زوجها شيئاً مما بها، فتقدم ليقف بجانبها... وحياها بأدب:

- صباح الخير ليزا. ابنتك تسأل بإصرار عن أمها، ولم أستطع حرمانها لحظة أخرى من صحبتك.

- مرحباً يا حبيبتي... متى استفاقت؟ أنا لا أتأخر عادة في

www.rewayti.net

النوم.
صوتها كان خشناً وهي تتحدث. ورد عليها طوني:
- لقد لاحظت هذا، ولكن لا بأس لمرة واحدة. لا بد انك كنت مستغرقة في النوم عندما استيقظت بيتسي عند السابعة، وبذلت جهدي لأسليها، ولكن يبدو أنني بديل لا ينفع عنك.
فابتسمت ليزا وأخذت الطفلة إلى جانبها في السرير.
- هذا ليس صحيحاً. بيتسي تحبك وأنت تعرف هذا.
لاحظت ليزا أن صوتها خشن، واحمر وجهها لنظرة طوني المتسائلة:
- هل أنت بخير؟
فابتسمت، بدون أن تحس بأن قسماتها قد احمرت من الحمى وكذلك عينيها. وغيرت الموضوع متسائلة:
- ألست ذاهباً إلى العمل اليوم؟
- لا... إنه يوم السبت... وفكرت بأن أقضي اليوم مع... عائلتي.
أعاد طوني النظر إليها بدقة:
- أنت لست على ما يرام... وأنا أرى هذا بوضوح، فلا تحاولي الانكار. لماذا تكذبين عليّ؟
- لم أكذب!
ولكن صوتها تلاشى مؤكداً أنها كانت تكذب... وتابعت:
- أنا فقط لست في حالة تسمح لي بأن أمثل دور الزوجة المبتهجة لاهتمام زوجها بها. ولحسن الحظ فإن بيتسي ليست من رأيي، ولسوف تفرح كثيراً لخروجها مع «دادا» المحبوب.
- ألن تأتي معنا؟
فهزت ليزا رأسها بالنفي، وتمنت على الفور لو لم تفعل، فقد تحول الدوار في رأسها إلى ألم حاد، وكل ما أرادته هو أن تعود إلى

النوم. وقالت:
- لا... أحس بالنعاس. فإذا كنت ستأخذ بيتسي معك، فسأبقى هنا لأنام. هل لديك مانع؟
- لا، إذا كان هذا ما تريدينه.
تناول بيتسي عن السرير وقال:
- ستراك فيما بعد... نامي جيداً.
سار قليلاً في الغرفة ثم التفت ليسألها:
- هل العناية ببيتسي ترهقك؟ أنت تعرفين أنني أردت منذ البداية أن أحررك من التعب. ولكنك لم تقبلي.
واحمرت عيناها، وتغيرت قسمات وجهها وهي تناضل بتقطب لتجلس... غير عابئة بجسدها نصف العاري، وغير مدركة الصورة الجذابة التي تظهر فيها في غلالة نومها الخضراء الرقيقة التي تماثل في لونها لون عينيها:
- بالطبع لن أقبل. بيتسي هي و[illegible] أن أعطيها كل وقتي وطاقتي. إنها كل ما لدي في هذه الدنيا
فقطب طوني بشدة:
- هذا ليس دقيقاً تماماً. فلديك طموحات أخرى في الحياة أليس كذلك؟
فهزت رأسها:
- لم أنسَ ذلك... وهذا الزواج لا أهمية له، أليس كذلك؟ فما أن تكبر بيتسي وتتمكن من فهم الحقيقة، تستطيع أن تتحرر مني، وأعود أنا إلى عالم الأزياء والشهرة.
فتقدم منها غاضباً:
- لماذا تصرين على هذه الأفكار السخيفة؟ فأنا...
فقاطعته بضعف متوسلة:
- أرجوك طوني. لا تبدأ في القاء محاضرة عليّ. فلا قدرة لدي

www.rewayti.net

على أن تعاملني كطفلة... أريد فقط العودة إلى النوم، وأن لا أستيقظ أبداً. رأسي يؤلمني، وكذلك حلقي، وجسدي كله ثقيل وكأن ثقلاً إضافياً قد هبط فوقه... وأنا... أنا.

وارتجفت شفتاها، وبدأت الدموع تنهمر على خديها:

ـ اوه... طوني... أشعر... أشعر بأنني متألمة بشكل رهيب!

للحظات استمر في التحديق إليها، ثم، وكأنه كان يخوض معركة مع نفسه ثم انتصر فيها، تقدم نحوها، وجذبها إلى صدره وهي تبكي بصوت منخفض:

ـ لماذا لم تقولي هذا أيتها الطفلة السخيفة؟

وأرجعها بلطف فوق الوسادة:

ـ يجب استدعاء طبيب على الفور... لن أتأخر!

وحمل بيتي وخرج... مسكين طوني... هو مضطر لاظهار اهتمامه بشخص يكرهه... ولكنها فعلاً مريضة. ومن المؤكد أن ما تحس به ليس مجرد التهاب اللوزتين.

في ظرف نصف ساعة كان رجل لطيف قد أكد لها وساوسها بأن ما لديها هو الانفلونزا. ثم أضاف الطبيب وهو ينظر مؤنباً إلى طوني:

ـ مع أن الانفلونزا ليست الأمر الوحيد الذي تعاني منه زوجتك. فوضعها أسوأ حالاً مع الارهاق التام العاطفي والجسدي. وأظنك، كمعظم الأزواج، لا تدرك ما مدى الارهاق الذي يسببه العناية بطفل وزوج ومنزل، لفتاة شابة رقيقة مثل زوجتك.

استمع طوني بتمرد، غير معتاد على أن يكلمه أحد بهذه الطريقة، لكنه تقبل كلام الطبيب ورد قائلاً:

ـ بلى... أنا أعرف... فلماذا تنصحنا؟

ـ عندما تستعيد زوجتك عافيتها من هذا «الفيروس» أنصحك بأخذها في إجازة طويلة إلى مكان طقسه دافيء.

فشهقت ليزا:

ـ اوه... ولكن. لا أريد الذهاب في إجازة!!

فنظر إليها طوني ببرود:

ـ إنه اقتراح الطبيب، سأقوم بالترتيبات، ولست في وضع صحي يسمح لك بالجدل... استريحي الان وستتكلم فيما بعد.

ـ ولكن...

فقاطعها الطبيب:

ـ والآن أيتها الشابة. يجب أن تفعلي ما يقال لك... فزوجك وأنا نعرف ما هو الأفضل لك.

وأشار إلى طوني ليغادرا الغرفة، وبدأ جفنيها يسترخيان. وأقفل طوني الباب خلفه وسأل الطبيب:

ـ هل أنت واثق أن هذا ما تحتاجه زوجتي؟

ـ نعم... أنا واثق... فزوجتك بحاجة إلى راحة طويلة... مقاومتها الآن للمرض خفيفة. وعطلة في مكان بعيد عن محيطها العادي قد يكون المقوي الإضافي الذي تحتاج إليه.

فرد طوني ببطء:

ـ فهمت... والطفلة؟ لا أظن أنها ستقبل بتركها هنا!

ـ لا أظن هذا ضرورياً، فزوجتك كما هو واضح متعلقة بابنتها وإبعاد الطفلة عنها سيزيد حالة الأم سوءاً.

وكتب الوصفة بسرعة وأعطاها لطوني:

ـ تأكد من أخذها لهذا الدواء بانتظام، واجعلها ترتاح ليضعة أيام وابنتها بقربها، فمع أنها قد لا تشعر بالقدرة على الحركة، إلا أنك تعرف الأمهات... انهن يعتقدن أن ما من أحد يستطيع العناية بأطفالهن أفضل منهن.

فابتسم طوني:

ـ في هذا الأمر أوافق معك تماماً. فليزا تصرّ على أن تفعل كل شيء للطفلة بنفسها... زوجتي عنيدة جداً عندما تصرّ على شيء.

www.rewayti.net

ضحك الرجلان بتفهم وهما ينزلان السلم وقال الطبيب:

- السيدة ستحتاج إلى الكثير من السوائل في الأيام التالية، ولكنها إذا لم ترغب في الأكل فلا تقلق كثيراً. سأزورها بعد يومين... ولكن اتصل بي قبل هذا إذا ظننت أن حالتها تسوء.

رفعت ليزا جسدها على مرفقها لتراقب الصغيرة وهي تجبو من حولها في الغرفة... كانت بيت قد أدخلت بيتسي إلى غرفتها بناء على طلب ليزا، التي مضى على رقادها في السرير أربعة أيام فبدأت تضجر. زارها الطبيب مرة وأكد أنها تتحسن. وها هي بالفعل تحس بالتحسن اليوم... وابتهجت بيتسي كثيراً لمشاهدتها من جديد، مع أنها لم تدعها تقترب منها، كي لا تصاب بالمرض.

وابتسمت شاكرة للمربية الشابة:

- أرجو أن لا تكون الأيام الماضية قد أتعبتك. أعلم أن بيتسي متعبة أحياناً.

وضحكت حين أدارت بيتسي عينيها الخضراوين إليها وقد سمعت اسمها:

- أجل أيتها العفريتة. أنا أتكلم عنك... كم أنت «سعدانة» صغيرة!

- لقد كانت هادئة خلال مرضك والسيد كوردوفا أمضى وقتاً طويلاً معها.

تغير وجه ليزا لذكر اسم طوني... لم تكن تشاهده كثيراً، مع أنه كان يمضي معظم وقته في المنزل... وحسب علمها كان يسأل عن حالتها يومياً، ولكنها لم تشاهده سوى مرة واحدة، عندما رافق الطبيب في زيارته الثانية.

لسبب ما، طوني يتجنب رؤيتها... هذا إذا لم يكن مشغولاً! وأوقفت أفكارها فجأة لنظرة القلق في عيني بيت، وابتسمت للطفلة:

- طالما أنها أحسنت التصرف فهذا هو المهم.

لقد ألم ليزا واقع تقبل بيتسي لهؤلاء الغرباء في حياتها بسهولة. ومن الغرابة أن يحل مكانها شخص آخر بعد أن كانت هي مركز اهتمام الطفلة... فقد يعيد طوني النظر في وجودها في المنزل. ولاحظت بيت تصلب وجه ليزا، فالتقطت الطفلة وحملتها نحو الباب:

- من الأفضل أن أعيد بيتسي الآن إلى غرفتها... لقد حان وقت قيلولتها.

وضحكت ليزا:

- وقيلولتي كذلك. لا تقلقي بيت لن يحصل لي انتكاسة، سأقف على قدمي في بضعة أيام، فأريحك من بعض أعباء العناية ببيتسي.

- ولكنني لست متعبة... صدقاً.

- أعلم... ولكن للحقيقة اشتقت إلى هذه المزعجة... كثيراً.

حدقت ليزا إلى السقف بعد خروج بيت... لن تبقى هكذا بعيدة عن الأنظار... سوف تنهض... وترتدي ثيابها وتنزل لتناول العشاء، وتفاجيء طوني! لا بد أنه يتصور بأنه عاد عازباً ثانية.

ووضعت قدميها بثبات فوق الأرض. ودفعت بنفسها لتمشي... يا إلهي! ساقاها ضعيفتان جداً! وباب الحمام... كم هو بعيد... وتمسكت بمقبض الباب وكأنه حبل النجاة. ربما هذه فكرة غير ملائمة... ولكن طريق العودة إلى السرير أبعد بكثير! وترنحت فوق قدميها، وسبح رأسها في الهواء... لا فائدة يجب أن تعود إلى السرير.

تقدمت المسافة الصغيرة التي تفصلها عن كرسي طاولة الزينة... ولكن الخزانة، بدت لها بعيدة. ومضت دقائق أن تجمع قوتها للخطوة التالية... حسناً... الخطوة الآن أو لن تستطيع أبداً. ولن تبقى واقفة هنا طوال اليوم، وبالتأكيد لن تستدعي طوني للمساعدة، فتشعر بالذل أمامه.

www.rewayti.net

خطت خطوة متهورة إلى الأمام. ففقدت توازنها. وارتفعت أرض الغرفة نحوها.. وقعت ليزا بقوة على الأرض. وتسمرت عيناها على باب الغرفة تنتظر وصول أحد.

حدسها كان صحيحاً. فما هي إلا لحظات حتى دخل طوني الغرفة بسرعة. تصرف بسرعة فصرف الخدم الذين تجمعوا عند الباب، وركع أمام ليزا التي أشاحت بنظرها عنه.

- ماذا حدث؟

- لقد وقعت!

- أعرف هذا، ولكن ما أريد معرفته ماذا كنت تفعلين خارج السرير.. أنت تعرفين أن عليك الرقاد في السرير لبضعة أيام أخرى.. إنها أوامر الطبيب!

حملها بدون جهد بين ذراعيه، فارتجفت، وتوترت بالكامل من دفء جسده الملتصق بجسدها. وانهمرت الدموع على خديها وهي تنظر إلى صدره الذي ظهر من فتحة قميصه الحريري. وأشاحت بوجهها عنه، قالت بصوت منخفض ومتوسل:

- أرجوك... لا تغضب مني طوني... أرجوك!

حدّق إليها. فاحمر وجهها الشاحب لنظراته المتفحصة، وهي تحس بشعرها الأحمر يلامس صدره. فقال لها بلطف:

- لم أكن لأغضب منك... أريد فقط معرفة سبب تصرفك السخيف بمغادرة السرير على الرغم من أوامر الطبيب... وأوامري.

قالت بهدوء:

- أعرف أنها كانت أوامرك.

فقطب:

- وماذا تعنين بهذا؟

- أعلم أنك لا تحب أن تذكر وجودي، ولكني لم استطع البقاء هنا لوحدي لحظة أخرى... أحست بالوحدة.

لفترة طويلة، صمت، وهو مستمر في حملها على صدره بقوة:

- أنا... أنا لم أقل أبداً إنني لا أرغب بوجودك. بالعكس، فلولا وجودك لما كانت بيتي... أنا شاكر لك لمنحي مثل هذه الطفلة الجميلة.

- ولكنك لم... لم تحضر لرؤيتي... ما عدا في رفقة الطبيب؟!

فرفع حاجبيه:

- وهل كنت تريدين أن أزورك؟ وأضاف بجدية:

- ليزا لا تنسي فأنا لا أقصر في العناية بك... ثم عليك أن تتذكري أن زواجنا له حدود متفق عليها.

ردت بغضب:

- ذاكرتك قوية! ولكن يجب كذلك أن تتذكر أنني لستُ في حالة طبيعية، وأني لستُ قادرة تماماً على إدراك حدود الزواج منك. تلك الحدود الفولاذية القاهرة!

وشرعت تبكي بمرارة...

- اوه ليزا...! ما بك... أرجوكِ صحتكِ لا تحتمل... وأنا لا أحتمل النكبات في هذا المنزل.

- هذا ما يهمك... أن لا يتعكر مزاجك، أعرف أنك لا تحبني... ولكني...

وصاح بها محذراً من متابعة كلامها:

- ليزا!

ووضعها برفق فوق السرير، ثم جذب الغطاء فوقها... وجلس بقربها:

- أنا لم أقل مثل هذه الأشياء مطلقاً. لك طريقة خاصة في تأويل الكلام. أنا لا أزورك يومياً لأنني لا أود ازعاجك أبداً. ولكن إذا كان الأمر يسعدك فسأجلس معك. هل تحبين هذا؟

www.rewity.com
www.rewayti.net

فهزت رأسها بخجل:

ـ نعم... إذا كنت واثقاً أنني لن أؤخرك عن شيء آخر و...

فقاطعها وهو يقف ليقرّب الكرسي من سريرها ويجلس عليها:

ـ لا شيء... ولا أحد... والآن أخبريني، كيف تشعرين الآن؟

ـ بخير... شكراً لك طوني.

وضحكت، ثم أضافت موضحة:

ـ كنت أظن أنني قادرة على النزول لتناول العشاء ولأريك أنني بخير!

ـ أستطيع رؤية كم أنت بخير في فراشك... لقد أتممت ترتيبات العطلة و...

ـ العطلة؟ لقد قلت لك إنني لا أريد السفر في عطلة!

ـ وأنا قلت لك إننا ذاهبان... وأنت تعرفين أنني دائماً أنفذ ما أقرره.

ـ أنت متعجرف طوني... وهذا سيء لا أحبه في زوج.

فضحك:

ـ يؤسفني أن لا يسعدك هذا! فلطالما كنت متعجرفاً.

ـ حسناً، هذا ليس بالشيء الذي يجب أن تفخر به... ولا زلت مصرة أنني لن أذهب في هذه العطلة. لا أستطيع ترك بيتسي.

ـ لقد أعلمت الطبيب بهذا، وصدم من مجرد تفكيري بأن أترك الطفلة هنا. كدت أنسى أن الكنديين نادراً ما يتركون أمر العناية بأولادهم لأناس آخرين.

ـ بالطبع لن يعجبك أمر تركها هنا؟ وأنا واثقة أنك ستضجر من تسليتي.

فاشتد سواد عينيه الرماديتين:

ـ لن أجد هذا مضجراً أبداً... بالعكس... قد أجده... مثيراً للاهتمام.

فأشاحت بوجهها مرتبكة:

ـ والآن؟

ـ الآن... سنأخذ بيتسي معنا.

ـ وأين سنذهب؟

ـ لدي فيلا في إسبانيا وستكون ممتازة لنا. ثمة زوجان يسكنان فيها طوال السنة ويعتنيان بحاجاتي عندما أذهب إلى هناك ويمكن أن ترافقنا بيت لمساعدتك في العناية بالطفلة.

لأول مرة منذ دخول طوني غرفتها ابتسمت بثقة:

ـ إنها تحس بالسعادة والقناعة منذ سكنّا هنا.

ـ أي منذ تزوجتني، ومهما حاولت نسيان الأمر، أخشى أن يكون هذا قدر لا مهرب منه.

فردت بحدة:

ـ وهل أنت مضطر للخوض في هذا الموضوع؟ كنت أتمتع بحديثنا عن الصغيرة، وها أنت أفسدت عليّ متعتي.

فوقف متباعداً:

ـ أنا آسف... آسف أن يكون لي مثل هذا التأثير عليك... سأتركك قبل أن أكدرك أكثر.

ـ أنت لست آسف أبداً! فأنت تفعل هذا متعمداً... كي لا أنسى مركزي.

ـ وماذا تظنين مركزك؟

ـ أنت تعرف وجهة نظري في هذا.

ـ أنت زوجتي! ولا تنسي هذا!

ـ لا تكلمني هكذا!

فصاح بها:

ـ أنت تفرطين في حساسيتك ليزا. وكما كنت أتوقع، دخولي إلى هنا يزعجك. حاولي أن تهدئي نفسك.

www.rewayti.net

ـ لست طفلة يا طوني، فلا تعاملني كطفلة. ولكن أظن أن عليك الذهاب. أنا مسرورة لزيارتك... وشكراً لك على مساعدتك لي عندما وقعت، ولكنني تعبة الآن. فأنا لم أشفَ بعد كما ظننت.

أحنى رأسه قليلاً... ثم قال ببرود:

ـ حسن جداً... ولكن إذا رغبت في زيارتي لك ثانية يمكنك إعلامي بذلك بواسطة بيت. فأنا لا أرغب في زيارتك غصباً عنك.

بقيت ليزا صامتة بعناد... وبعد نظرة مفكرة إليها، ترك طوني الغرفة بهدوء... اوه... كيف يفعل بها هذا؟ إنه يعرف تماماً أنها لن تقول لبيت مطلقاً انها ترغب في زيارته لها... فهذا أمر مذل... وهو يعرف هذا! يعرفه!

عندما جاء الطبيب إلى زيارتها ثانية وافق على أن تحاول الحركة، ولكن على مراحل، وفور شعورها بالتعب عليها العودة إلى الفراش. فعلق طوني:

ـ زوجتي عنيدة جداً يا دكتور.

ـ في هذه الحالة، من الأفضل حملها إلى الطابق الأرضي لترتاح هناك كل يوم. وقد يساعدها الأنس بالآخرين على الشفاء.

جلست ليزا بصمت محيط بينما الرجلان يتناقشان بأمرها... أن يتحدثا عنها وكأنها لا تستطيع الكلام عن نفسها، أمر لا تتحمله. بعد الظهر حملها طوني إلى الطابق الأرضي، فابتسمت له شاكرة:

ـ شكراً لك.

رفع حاجبيه بخيلاء والتقط سترته عن الكرسي وهز كتفيه، ثم ارتدى السترة وقال متحفظاً:

ـ سأكون في المنزل في الوقت المحدد لأعيدك إلى غرفتك.

ـ هل ستخرج؟

تمنت لو أن خيبتها لم تكن ظاهرة هكذا... فردّ عليها:

ـ هذا واضح.

ـ ولكن إلى أين؟

ـ هل تظنين أن لك الحق في معرفة تحركاتي؟

التوى فم ليزا من التصلب:

ـ ألا يحق لي؟

ـ ربما... وربما لو لم تتصرفي كالمرأة المتسلطة كلما تحدثت معك.

فارتجفت شفتاها وتلعثمت بكلماتها:

ـ أنا لا أقصد أن أكون هكذا.

فقال بدون إشفاق:

ـ إذن عليك أن لا تفعلي هذا... لقد حاولت ملاطفتك منذ تزوجنا... وفي بعض الأحيان كنت أظن أنني أتقدم. ولكن يبدو لي أننا لن نعرف بعضنا أكثر مما كنا نعرف بعضنا يوم الزواج. إذا كنت قد اشتقت للحياة التي كنت تعيشينها قبل الزواج فأنا آسف. ولكنني لا أستطيع توفير الجانب الجسدي لك في زواجنا وهذا ما تتوقين إليه كما هو واضح، كما أنني لا أنصحك بإيجاد شخص آخر يوفرها لك. فلن اتسامح بأية فضيحة قد تمسّ بعقولة بيتي.

قصاحت به:

ـ وأية حياة تظنني... كنت أعيشها؟

ـ مرافقيك المختلفين... وعلاقاتك معهم. وأظن أنك تجدين صعوبة في نسيان مثل... هذه العلاقات وقد تعودت عليها.

ـ إنك تهينني يا طوني!

ـ ربما... ولكن لا أستطيع منع نفسي... أجد من المستحيل ربط حياتك الماضية بالفتاة التي تزوجتها... كأم لبيتي أنت مخلصة تماماً... ومع ذلك فلم تكوني واثقة من أبوة الفتاة.

ـ ولكن هذا ليس...

وصمتت، كيف يمكن لها أن تقول إن هذه ليست غلطتها!

www.rewayti.net

- ليس ماذا؟

- ليس مهماً... وأنا سعيدة أنني عرفت رأيك بي الآن.

- وهل شككت به يوماً؟

- لا... لا أظن هذا. مع أنني أخطأت واعتقدت أنك بدأت تعجب بي. أمر سخيف... أليس كذلك؟

- ليس سخيفاً أبداً... لقد حاولت أن أعاملك بما تستحقه والدة بيشي في الواقع، كانت أكثر من محاولة، وظننت مرة أنني نجحت. ولكن واقع أنني أعرف ماضيك يقف في طريق أي علاقة صداقة مقربة بيننا.

أخفضت ليزا عينيها كي لا يرى الألم فيهما... وسألته بصوت متهدج:

- أنت تكرهني... أليس كذلك؟

- لن أستطيع كراهية أم بيشي.

- ربما لا... ولكنك تكرهني كشخص.

فضاقت عيناه بالغضب. وخطا نحوها ليمسك بكتفيها الرقيقتين بوحشية وهزها بعنف:

- ولست أكرهك كذلك... وكم أتمنى على الله لو أنني أكرهك!

حدقت ليزا بحيرة إلى وجهه الأسمر، بوسامته القاسية، واستقرت نظراته على عينيها الواسعتين الخضراوين، ثم على أنفها الصغير، وتوقفت على فمها الشهي المنفرج، وأصبحت عيناه زرقاوين بلون البحر... وشهقت ليزا للرغبة التي لاحظتها في عمقهما:

- طوني... أنا...

- اصمتي...! واجمدي!

حدقت إليه مسحورة. لم تكن قد شاهدته من قبل وقد فقد هدوءه وما أثارها هو أنها السبب في ذلك، فنظرته كانت حادة وبداء

شديدتين على كتفيها، ثم دفعها عنه بقوة:

- أتفعلين هذا عمداً؟

- اف... افعل ماذا؟

فقال بازدراء:

- لا تتظاهري بالبراءة! أنت تحاولين اغوائي منذ التقينا. حتى أنك تمادين وانتهكت خصوصية غرفة نومي، في إحدى المرات.

- لا لشيء إلا لأقول لك إن تصرفاتك تثير الاشمئزاز!

فرد ببرود قاتل:

- ليس أكثر مما تفعل تصرفاتك بي... صدقيني! وبعد أن اتضح رأي كل منا بالآخر ربما لن تخوضي هذا الموضوع ثانية. وأنا كذلك.

فشهقت:

- أيها ال... أنت... أنا لن ألمسك ولو كنت آخر رجل على وجه الأرض!

رد عليها وكأنه ينهي الحديث:

- جيد... للمرة الأولى نحن متفقان... وداعاً!

وصفق الباب بقوة وراءه.

ولدقائق طويلة استمرت ليزا بالتحديق إلى الباب المقفل وما لبثت أن أطلقت العنان لدموع كبتتها طويلاً.

●●●

www.rewayti.net

٥ ـ زواج بلا جسد

عودة ليزا إلى كامل صحتها استغرق حوالي الشهر ووفاءً بوعده لها، كان طوني يحملها كل يوم إلى الطابق الأسفل، ولكنه كان يتركها فوراً ليعود فيما بعد ويعيدها إلى غرفتها. أحست ليزا أنهما يتباعدان بدل أن يتقاربا. إلا أنه فاجأها ذات يوم وقد استعادت كامل صحتها بأنهما سيقومان بالرحلة التي وعدها بها خلال أيام... وفي اليوم الموعود كانا في المطار وبيت تحمل بيتسي، ليستقلوا طائرة صغيرة خاصة... أقلعت بهم عبر الأطلنطي إلى إسبانيا.

تنهدت ليزا، وقد بدا وجهها شاحباً ومتجهماً، فيما حفت بيتسي على حجرها غير عابئة بما حولها. لطالما خافت ليزا من السفر جواً، وما زاد خوفها أن طوني كان قائد الطائرة ويبدو أن طوني قد لاحظ ذلك فابتسم ساخراً وقال:

ـ هيا ليزا... أنا لا أنوي رميك في المحيط... مع أن الظرف ملائم!

ـ ولكن كيف سمحت لك السلطات بهذا؟

رفع حاجبيه بتكبر:

ـ وكيف يمتعونني من استخدام ما أملك، إلا إذا كنت غير مؤهل، ولكنني حاصل على ترخيص.

إنها طائرته الخاصة! كان يجب أن تعرف هذا وأن تعرف كذلك أنه طيّار مؤهل. فرجل مثله واثق من نفسه لن يترك أشياء تافهة مثل

هذه تعترضه.

لعقت شفتيها الجافتين ثم سألته:

ـ وهل يجب أن نذهب في هذه العطلة طوني؟

ـ هل تعترضين لخوفك من الطيران يا ليزا؟ أم لخوفك مني؟

ـ أنا... لم أحب الطيران أبداً.

ـ إذن أنت لست خائفة مني.

ـ لا... لا طبعاً!

ـ وهل أنت على ما يرام؟

ـ سأكون بخير أكثر عندما تصل.

ـ لا بأس عليك. سوف تنسين هذا الخوف من الطيران في الجو، وتتشوقين إلى الاستمتاع بهذه العطلة.

ـ حسناً... أرجو هذا.

كالعادة، تأكد لها أنه على حق... فقد كانت سيارة صالون فخمة تنتظرهم في المطار، واستقبلوا بحفاوة رائعة، جعلت ليزا تدرك مكانة طوني وشهرته في تلك المنطقة.

فيما هم يسلكون طريق الساحل، أخذ طوني يعرّفها إلى مختلف الأماكن الهامة.

أحبت ليزا الڤيلا منذ رأتها، لقد كانت عبارة عن طابق واحد يشبه منزل المزرعة، واسعة لا تقل غرفها عن عشرة للنوم، وغرفة استقبال ضخمة، حمامان ومطبخ. أخبرها طوني أنه يجب أن يبقى تحت إشراف سيرينا دياز، وقال:

ـ لا نريد أن نواجه إضراباً عن العمل!

بما أنها لم تكن تنوي التدخل بشيء، فقد وجدت تحذيره لا لزوم له. ولاحظت أن عائلة دياز لها جناحها الخاص إلى جانب الڤيلا...

وأعطى طوني الطفلة النائمة لبيت:

www.rewayti.net

ـ لوسيان كان... لم يكن يحبني!

ـ أعرف هذا، فهو كان يحب أنجي... التي تعرفينها جيداً، فهل كنت تعرفين أنه يحب فتاة أخرى؟

ـ وكيف تعرف أنه كان يحب أنجي؟

ـ لقد أخبرني هو بنفسه.

هزت رأسها بدهشة، إذن لقد أحب لوسيان أنجي! أمر لا يصدق!

ـ أنا... لا... أنا لم أكن أعرف. كنت أعرف أنها تحبه... ولكن لم أعرف هذا قبل... قبل أن تموت.

ـ ربما كانت خائفة أن تخبرك! ربما كانت تخاف أن تقودك غيرتك لفعل شيء غبي، شيء يبعد لوسيان عنها. إخباره بحملك مثلاً لإجباره على الزواج منك. كانت تعرف بأمر حملك، أليس كذلك؟

وكادت تضحك لمثل هذا السؤال. لقد بات واضحاً أن هناك اسئلة كثيرة بدون جواب، مثل لماذا تركها وهي حامل بطفله، وكيف مات الحبيبان بدون أن يعرفا بحبهما المتبادل، اسئلة كثيرة أبقاها موتهما بدون أجوبة.

وأمسك بذقنها مديراً رأسها إليه:

ـ هذه المرة لن يكون لك مهرب. لسوف تخبريني كل شيء عن علاقتك بلوسيان. وكذلك ما تعرفينه عن أنجي هذه التي أحبها.

فابتلعت ريقها بصعوبة:

ـ أنا... إنها...

ـ هيا ليزا لا تتظاهري بالتألم معي فأنا أعرفك... أعرف أنك تهوين سرقة رجال الأخريات، مثل رب عملك السابق، أجل لقد شاهدت خاتم زواجه. هل هذا يزيد من متعتك؟

ـ هل تحب أن أقول لك نعم!

ـ أحب أن تقولي لي الحقيقة!

فوقفت وهي ترمقه بغضب:

ـ الجواب إذن نعم! أنا كل ما تظنه بي... فهل لك أن تتركني وشأني؟ قبل أن أتزوجك كانت أوضاعي المالية صعبة... ومع ذلك فلم أكن مضطرة إلى فعل ما تظنه أنت بي. ولو أنني عرفت ماذا سيحدث معك لما أرسلت تلك الرسالة مطلقاً. لكنت فضلت الموت جوعاً على زواج حمل إليّ الاحتقار. ولكن لم يكن لي الخيار... لا فالمبجل العظيم كوردوفا يحب تنفيذ إرادته... حسناً لقد حصلت على ما تريد يا طوني، ابنة جميلة وزوجة متسلطة... فهل يرضيك هذا؟

ـ أنت تكذبين عليّ. تريدين أن أسيء الظن بك... لماذا؟ ماذا تأملين تحقيقه؟

ـ حريتي!

ـ حريتك لفعل ماذا؟ كي تعيشي بدون مشاهدة ابنتك تكبر لتصبح جميلة كأمها؟ لا يمكنك فعل هذا.

فردت بصوت يائس:

ـ لا... وأنت تعرف هذا. ولذلك تقول هذه الأشياء الفظيعة عني، وتتجاهلني متى شئت، وهذا كله لأنك تعرف بأنني لا أستطيع ردّ الضربة لك كما يحلو لي أن افعل. أنت تعرف أنني لن أترك بيتي... ولو كنت لا أهتم بها لما تزوجتك وتحملت العذاب في كل لحظة.

وصاح غاضباً:

ـ أنت تتمنين؟ وماذا تظنيني أحس، وأنا متزوج من امرأة من المستحيل الاقتراب منها؟

فاتسعت عينا ليزا:

ـ ولكنك قلت... قلت... إن زواجنا لن يكون... لن يكون...

www.rewayti.net

ـ لن يكون ماذا؟ نعم قد يكون من المربح لكلينا ان نكون صديقين.

ـ أتعتقد صدقاً أن هذا بالإمكان؟ بعد كل ما قلته وفعلته؟

فهز كتفيه:

ـ يمكننا أن نجرب... وقد يساعدنا لو قلت لي شيئاً عن أنجي... كيف تعرفت إليها؟

ـ كانت عارضة أزياء وقد أحبت لوسيان. ولكن ما لم أفهمه لماذا وهما يحبان بعضهما اضطرا للافتراق. هذا لم يكن له أي علاقة بشيء قلته أو فعلته أنا. لقد كنت خارج البلاد آنذاك.

ـ أعرف هذا، لا أعني وجودك خارج البلاد. بل أن لا دخل لك في فراقهما. لأنني كنت أنا السبب، فقد أصبح لوسيان خاطباً...

ـ ولكنهما كانا يحبان بعضهما يا طوني!

غطت وجهه سحابة حزن:

ـ ظننته أمراً عابراً. وأن مشاعر الحب التي يكنها لوسيان لها ستزول قريباً.

سألته بصوت خافت، مدركة أنه يريد الكلام، يريد إخبارها عن أخيه كما لم يخبر أحداً من قبل. ومرر طوني يده في شعره المتموج الكثيف:

ـ لقد طلبت من لوسيان عدم رؤية الفتاة لثلاثة أشهر، حتى ولا أن يتصل بها... ليرى حقيقة مشاعره.

ـ وكيف كانت مشاعره؟

ـ بقي على حبه لها... أنا آسف فهذا مؤلم لك أيضاً. ولكن لوسيان كان يحب أنجي... وأجبرته على كتابة رسالة لها يخبرها أنه لن يراها أبداً. وقلت له إنهما إذا كانا لا زالا يحبان بعضهما فسوف يلتقيان ثانية بعد فترة الثلاثة أشهر.

ـ إذن كنت تختبر أنجي... فترى ر ـ ما على مثل تلك

الرسالة؟

ـ أجل! ولكنني دفعت الثمن... دفعت الثمن غالياً.

وكذلك أنجي، فحملها منعها من الذهاب إليه، فلن تعرف ما إذا كان يريدها أم سيشعر بالمسؤولية تجاه الطفل... وسألته:

ـ وماذا حدث يا طوني؟

بدا لونه أصفر حين تابع:

ـ انتظر لوسيان انقضاء الأشهر الثلاثة، ثم وبإذن مني، ذهب ليراها.

فهزت رأسها:

ـ ولكنه... ولكنه لم يفعل. كنت معها عندما ماتت، وهي لم تره... منذ تلك الرسالة.

ـ أكانت لا تزال تحبه؟

ـ كثيراً.

تنفس بصعوبة وعمق، وقال يشرح لها ببساطة:

ـ لقد قتل وهو في طريقه إليها... الذنب ذنبي... كل ما حدث. لربما كانا الآن سعيدين...

وتقدمت ليزا نحوه خطوة، ولكنها ترددت في مواساته كي لا يصدها.

ـ لا يمكنك لوم نفسك طوني. فأنجي كانت ستموت في مطلق الأحوال. لقد علمت هذا من الطبيب.

ـ كان يمكن أن لا يحدث هذا لو كان معها لوسيان. ولكن ها أنذا قد خسرت أخي أيضاً، ولهذا فإن بيتسي تعني لي الكثير... إنها كل ما بقي لي منه.

أحست ليزا أنهما نبشا الماضي بما يكفي، فقالت بلطف:

ـ دعنا نخرج إلى الشاطىء طوني. لقد جئت إلى هنا لترتاح وليس لتلوم نفسك على شيء حدث في الماضي... شيء انقضى ولا

www.rewayti.net

يمكن تغييره. وأستطيع التأكيد لك أن ما من شيء كان سيعيد أنجي، لقد أكد لي الطبيب أن لا أمل لها. دعنا نذهب إلى الشاطىء الآن ونبدأ عطلتنا.

بدا متباعداً متحفظاً:

ـ بإمكانك نسيان الأمر بسهولة، ولكنني لن أستطيع. فأخي كان يمكن أن يكون الآن حياً لولا...

ـ توقف عن هذا طوني! توقف عن تعذيب نفسك... فلن يكون أي منهما سعيداً بدون الآخر. وأمامك مستقبل يبتسم لتفكر به الآن. لا أن تنبش الماضي.

فهز رأسه، وبدأ التوتر يزول عن وجهه:

ـ أنت محقة... ولكن أمامي أيضاً مستقبلك أنت.

فابتسمت له بلطف، وقد تأثرت أكثر مما قد تعترف، بعد أن أسرّ لها بمشاعره... وقالت له ممازحة:

ـ إذا كنت تعني ما تقول فأنا أستطيع تقرير أمر مستقبلي الفوري. لأنني أريد السباحة... أرجوك.

ثوب سباحتها البيكيني كان آخر صيحة في عالم الأزياء، اشتراه لها طوني قبل سفرهما بأيام، وقد ارتدت فوقه روب أخضر مماثل للون عينيها تماماً، ويبرز جمال شعرها الأحمر.

لم يحس طوني بالخجل الذي انتابها وقد ظهرت أمامه شبه عارية... سارا معاً إلى الشاطىء بصمت مطبق... وأخذت تحدق بين الفينة والفينة في الميدالية المعلقة بسلسلة غليظة في رقبته، وهي واثقة أنها شاهدت مثلها من قبل. وصاحت فجأة بإثارة:

ـ بالطبع! خاتمي...

ونظر إليها عن كثب:

ـ هل أضعته؟

ورفع يدها اليسرى وتحسس الخاتم الذهبي العريض:

ـ ها هو... لا زال في يدك. ربما تتكلمين عن خاتم آخر؟

فضحكت:

ـ لا... بل أتكلم عن ميداليتك وخاتمي فعليهما النقش نفسه.

واختفت التقطيبة عن وجهه ليظهر مكانها الابتسام:

ـ إنه شعار العائلة.

نظرت إلى الصقر المحلق المحفور على الحليتين:

ـ طير الصيد.

فضحك. وبدت أسنانه بيضاء تلمع في وجهه الشديد السمرة:

ـ أجل... مناسب جداً... أليس كذلك؟

ـ ربما...

وابتسمت له، ثم خلعت الروب ورمته على الرمال قبل أن تركض نحو الماء، وهي تدرك تماماً ما يكشفه البيكيني من جسدها...

وقالت متحدية:

ـ سأسابقك!

ـ وما ستكون الجائزة؟

فاحمر وجهها لنظرة عينيه الساخرة وردت عليه بخبث:

ـ لتكن كما تحددها أنت.

ـ في هذه الحالة أقبل التحدي!

رمى بمنشفته ليضم إليها، يمرر عينيه فوق جسدها من ساقيها الملفوفتين، إلى أوراكها الصغيرة وخصرها النحيل، إلى معدتها المسطحة وصدرها العامر.

ـ وما ستكون الجائزة؟

وانتظرت رده والإثارة في نظراتها... فقال بسخرية:

ـ من يخسر عليه فرك زيت الشمس على ظهر الآخر.

بذلت جهدها لتخفي خيبة أملها، فقد كانت واثقة أنه كان سيقترح شيئاً آخر.

www.rewayti.net

ـ اوه... قد أخسر عمداً. فأنا أحب ملمس الزيت يفرك على ظهري.

فضحك طوني، ضحكة طبيعية تماماً:

ـ وكذلك أنا. وسيدو سباقاً للخسارة وليس للربح.

وربح... فالسباحة لم تكن أفضل الرياضات لديها... ولكنها تمتعت بفرك الزيت على ظهره... وأحست ببشرته قوية وناعمة، وأحبت ملمسه. واستلقى طوني مستمتعاً بدون حراك تحت يديها.

استدار ليستلقي على ظهره، قائلاً:

ـ أنت بارعة تماماً في هذا... لا بد أنك فعلته من قبل.

ـ لا... أنا... أنت تسخر مني طوني!

ـ ما يدهشني أكثر احمرار وجهك خجلاً. لقد ظننتك امرأة مجربة.

وأجفلها كلامه لقالت ساخرة:

ـ أرجو عفوك... لقد نسيت دوري في الحياة للحظات، لن يحدث هذا ثانية.

عاد طوني ليستلقي على وجهه، محدقاً بالبحر:

ـ ها قد عدت ثانية إلى الموقف العدائي... كنت فقط أبدي ملاحظة لا خلفية لها.

فاستلقت على مسافة قصيرة منه، وقد وضعت نظارتها الشمسية فوق أنفها، وأغمضت عينيها قائلة:

ـ آسفة!

وفتحت عينيها بعدما أحست بنقطة ماء على ذراعها... كان طوني يميل فوقها... وجهه على بعد بسيط من وجهها ينظر إليها متفحصاً... وبدأ قلبها يضرب باضطراب لقربه هذا، وكادت أنفاسها تتوقف. وقال لها بخشونة:

ـ أنت لست آسفة أبداً. أنت تتعمدين الاساءة إلي لتنتقمي مني.

سألته متلعثمة:

ـ ما... ماذا تعني؟

وأزاحت أصابعه يلطف خصلة شعر عن وجهها، ثم تحسس وجهها... ثم تنهد:

ـ أنت تجبريني على هذه الأشياء ليزا... لقد أقسمت أن لا المسك، ولكنني وجدت نفسي مؤخراً... هذا جنون!

واستدار عنها ليحدق ثانية إلى البحر... ومدت ليزا يدها ولمست كتفه بحنان:

ـ ما الأمر يا طوني؟

كانت تعلم أنها تلعب بالنار، ولكن شيئاً ما كان يحثها، يجبرها أن تلمسه. فدفع يدها عنه بغضب:

ـ اتركيني وشأني ليزا! هلا عرفت حدك!

ـ ولكنني...

فاستدار نحوها ثانية، واحتواها بين ذراعيه، ونظر إليها، ومد يده ليمررها بنعومة مثيرة فوق خصرها... وتمتم كأنما يحدث نفسه:

ـ ناعمة جداً... جميلة وناعمة.

وبقيت ليزا صامتة وجامدة... لمسته كانت لذيذة، بل مثيرة... لقد كان طوني الوحيد الذي اقترب منها هكذا، ولم يكن هذا هو السبب في تأثيره عليها... فهي لم تقابل من قبل، لا في بلدها ولا في الخارج، رجلاً فاتناً وجذاباً مثل طوني. وهمست:

ـ طوني...

بدا أنه لم يسمعها، بل استمر ينظر كالمسحور إلى جسدها.

ـ جسدك مكتمل... من يصدق أن طفلاً كان بداخله؟

ولكن هذا ليس صحيحاً! إنها لم تكن كذلك! خداعها يدخل إلى كل حديث بينهما...

ـ طوني... أنا...

www.rewayti.net

فقال بصوت أجش عميق:

- لا تقاطعيني ليزا.

وانحنى ببطء ليباعد عنها...

تسارعت نبضاتها، واحترقت بشرتها للمسته. لم تكن تعرف نفسها بأنها قد تتأثر جسدياً. ولكن لمسة طوني كانت ترسل أعصابها إلى قمة الارتجاف. وقاومت كي تتحكم بنفسها، ولكنها لم تعد تستطيع التفكير السوي. يداه كانت تفعلان أشياء غريبة لمشاعرها، وتحركت ذراعاه لتلتفا حول عنقه... وقالت متنهدة:

- اوه... طوني!

- هل يعجبك ملمس يداي على جسدك؟

- أنا...

- لا تخبريني! ليس من حقي أن أسألك هذا، ولا الحق في لمسك!

استدار مبتعداً عنها، ودفع شعره عن جبهته:

- سأعود إلى الفيلا الآن، أما أنت فعودي عندما تكونين مستعدة.

فصاحت يائسة:

- ولكن، طوني!

وجلست فيما التقط منشفته تحضيراً للذهاب وسألك بلطف:

- هل يجب أن تذهب؟

نظر إليها والعذاب باد في عينيه:

- يجب أن أذهب.

وأدارت ظهرها له... كيف يمكن أن يمضيا ما تبقى من حياتهما معاً بدون دفء إنساني؟ طوني رجل حار الدماء... وهي لن تستطيع تحمل التفكير به مع امرأة أخرى، مثل ميرا تريستال مثلاً.

تجنب طوني الحديث في أي موضوع شخصي خلال تناول العشاء، ولكن ما إن انتهى العشاء حتى اختلف الأمر. فقد طلب أن

تنضم إليه لتناولا القهوة لوحدهما في غرفة الجلوس.

لم يدُ عليه الاستعجال للكلام... وتنهدت ليزا:

- لأجل الله طوني! قل لي مهما كنت تنوي أن تقول، وانتهِ من هذا.

- عليّ بالطبع أن أعتذر عما حدث اليوم على الشاطىء. لم يكن في نيتي أبداً أن المسك!

فاحمرّ وجه ليزا:

- أنا... أرجوك! لم يكن هذا مهماً!

فقال بحزم:

- ولكنه مهم لي... فتصرفي لم يكن متوقعاً من الرجل الذي وعدك بزواج بدون التزام.

- ومن دون التزام، أنت تعني...؟

- أعني، بدون تورط جسدي، لقد تحملت في حياتك الماضية ما يكفي فلا حاجة بك إلى علاقة جسدية قد تكون متفرة.

- اوه... ولكن...

- أرجوك ليزا... دعيني أنهي كلامي! أتمنى أن تنسي ما جرى بيننا على الشاطىء... حاولي إبعاده عن تفكيرك.

فهزت رأسها:

- لن أستطيع النسيان يا طوني... ولا بد أنك تدرك أن ما حدث قد يغير الأمور بيننا؟

- صحيح أنني نسيت وضعنا الحقيقي، ورغبت فيك، ولكن هذا أمر يجب نسيانه، كما أنه لن يتكرر.

فقالت بإصرار، وقد وجدت الموضوع محرجاً:

- وكيف يمكن أن تتأكد من هذا يا طوني؟

وضرب فنجان قهوته فوق الطاولة:

- لأنني لن أسمح له أن يتكرر! فأنا لست مراهقاً يتأثر بسرعة،

www.rewayti.net

يمكن إثارته عند أول لمسة من امرأة جميلة، لدي على الأقل بعض السيطرة على نفسي، على الرغم من شكك في هذا.

- وماذا عني؟

وبدت عليه الدهشة:

- وماذا عنك؟

وقالت متلعثمة:

- أنا لم أكن... حسناً أنا...

وصمتت... وتجهم وجهه:

- أعرف هذا، فأنا لست بالغبي... من المتوقع أن تلجأي إلي في النهاية لمطلبك الجسدي، فالمرأة كالرجل في هذا. والجسد البشري، متى اختبر هذا، يطلب المزيد دوماً... وأنا...

وصمت مترددا، فسألته مرتجفة:

- نعم وأنت ماذا؟

برقت عيناها وهي تقف لتواجهه:

- لم أسمع قط مثل هذا الهراء في حياتي! أنت تتحدث عن العلاقة بين الرجل والمرأة وكأنها شيء آلي... وليس شيئاً يحدث بالاندفاع، بالمشاعر التي تقطع الأنفاس، بالحب... أجل، لقد أثارتني لمستك، ولكنني بكل تأكيد لم أكن لأسمح لك بأكثر من هذا... فجسدي لا يطلب شيئاً... لا شيء على الأطلاق!

ونطقت بالكلام بكل مشاعرها، مع أنها لم تكن واثقة أنها تعني ما تقول... فرد عليها بهدوء:

- أنت غاضبة! وتقولين أشياء لا تفكرين بها، وتعلمين أن ما تقوليه غير صحيح... هذه مشكلة لا رد لي عليها، ولن أسمح لك بالتطلع نحو غيري... لا يمكن أن أسمح لك.

فصحكت بغضب:

- أوه يا إلهي! لا أصدق أن هذا يحدث لي! أنا لا أريد أحداً يا

طوني...! أريد فقط أن تدعني وشأني أعيش حياتي لأربي ابنتي. أنت من بدأت بموضوع الحاجات الجسدية... ولم يكن لي مطلقاً أية أفكار بالنسبة لهذا الموضوع.

- لا تخدعي نفسك ليزا. لقد لاحظت الطريقة التي كنت تنظرين فيها إلي، ولاحظت الفضول في عينيك... وككل النساء، بدأت بالتساؤل عن كيفية تعاملي الجسدي مع النساء. أليس كذلك؟

واستشاطت غضباً:

- أنا أعرف تماماً ما أنت! وأعرف ذلك الكومبيوتر الذي في داخلك، والذي تظنه قلباً! هل أنت مضطر لتحليل كل شيء؟ أليس هناك ما تفعله بعفوية؟

- أحياناً... فأنا رجل. والرجال ميالون إلى إحساسهم أكثر من تفكيرهم.

فردت بوحشية:

- لا... فهذا لا ينطبق عليك طوني. فأنت تزن كل شيء قبل أن تصل إلى قرار... تقوم بكل شيء ببرود إلى أن تصل به إلى ما يوافقك.

فقال ببرود:

- ما قمت به اليوم لم يكن آلياً، ولا عن تفكير.

- هذا صحيح... وهو يعني أنه لا يزال هناك أمل بالنسبة لك.

قال بكبرياء:

- لن يحدث بعد اليوم هفوات من هذا النوع.

فردت بصوت خفيض:

- سنرى يا طوني... سنرى!

● ● ●

www.rewayti.net

٦ ـ ابتعد عني...

لاحظت ليزا في الأيام التالية أن مشاعرها نحو طوني قد تغيرت. إذ لم تعد تنظر إليه كرجل بارد متعجرف، كما كان يوم التقيا، ولكن كرجل حساس يمكن إثارته مثل أي رجل آخر... ولقد نجحت بالفعل في إثارة مشاعره أكثر من مرة مهما حاول الإنكار.

وجدت نفسها كذلك، تنتظر بفارغ الصبر، أوقات الاسترخاء التي يقضيانها على الشاطىء كل يوم. وكانت بيتسي ترافقهما إلى أن تصبح الشمس شديدة الحرارة لتتابع لعبها بارتياح فيما كان طوني يتجنب الانفراد بليزا، إلا أنه لم يكن يترك أية فرصة لقضاء وقته مع الطفلة، الأمر الذي وطّد بينهما علاقة حب قوية.

في صبيحة اليوم الرابع، تلقت ليزا رسالة من صديقتها ليندا. وما أن قرأتها حتى ترقرقت عيناها بالدموع، ونظرت إلى طوني لتجد أن جمودها قد صرفه عن مطالعة الجريدة وراح ينظر إليها بفضول:

ـ هل حدث شيء ما؟

ـ لماذا فعلت هذا يا طوني؟

ـ وماذا فعلت؟

فرفعت الرسالة نحوه:

ـ هي من ليندا.

وانفرجت أساريره:

ـ آه!

ـ أنه شيء رائع ما فعلته... أن تشتري لليندا وزوجها... لا أستطيع التصديق!

ـ أنا لم أشتر لهما المنزل... لسبب ما أصرّا على رد المال إليّ... بينما كنت أود إهدائهما المكان والله يعلم أنني قادر على شرائه... ولكنهما رفضا... حتى عندما قلت لهما إنه هدية لابنتهما الصغيرة.

ـ المنزل هدية غير متوقعة لطفل في الشهر الأول من عمره. حتى بالنسبة لرجل ثري مثلك، فما الذي دفعك لمثل هذا؟

هز كتفيه، ثم طوى الجريدة استعداداً لمغادرة العائدة:

ـ لأنهم أصدقاؤك.

فانسمت عيناها دهشة:

ـ وهذا... هذا ما جعلك تشتري لهما منزلاً؟!

ـ بالطبع، لقد كنت قلقة بسببهما، وخاصة بعد ولادة الصبي.. وبما أن المال موجود فلا ضير مما فعلته.

ـ ولكن هذا أمر لا يفعله معظم الناس.

ـ لا تجعلي للأمر أهمية أكثر مما يستحق. لقد أقرضتهم مبلغاً من المال، فاعتبريها صفقة عمل إذا أردت.

فابتسمت:

ـ وأنت الخاسر. تقول ليندا إنك تصر على أن يكون المال بدون فائدة، ولا تبدو هذه صفقة جيدة.

ـ لا أوافق معك. لقد أسعدك الأمر، أليس كذلك؟

ـ جداً.

ـ إذن فالصفقة تستحق كل سنت منها.

وقف، كأنما يريد إنهاء الحديث، ولكن ليزا لم تسكت بسهولة:

ـ لماذا تريدني أن أحس بالسعادة يا طوني؟ لم أكن أعتقد أن هذا جزء من خططك لي.

www.rewayti.net

فقال متوتراً:

- لن نتجادل بالأمر ليزا!

- هذه دائماً طريقتك بالدفاع... أليس كذلك؟ تنسحب من أمامي بطريقة متعجرفة... ولا أستطيع حتى اجراء حديث طبيعي معك!

فنظر إليها متكبراً:

- هذا ليس حديثاً طبيعياً... ولا أي حديث بيننا كان طبيعياً منذ ما حدث على الشاطىء... يومها أخطأت... وصدقيني أنني أخطأت.

- ولكنك لم... لم تفعل شيئاً!

- لم تعانق لا يعني أنني لم أفعل شيئاً... وأنا واثق أنك تتذكرين جيداً ماذا فعلت.

- لقد لامستني... وداعبتني! فهل هذا خطيئة؟

فهز رأسه بغضب:

- هل تسألينني عن هذا؟ أنت أم طفلة أخي!

ووقفت ليزا وقد ضمت يديها متوترة:

- وإذا لم أكن هكذا، فماذا سيحصل؟ هل كنت ستستمر في كراهيتك للمسي؟

أخذت عيناه تبتعدان في نظرتهما عنها مع كل كلمة، ثم قال:

- بما أن هذا الافتراض ليس قائماً. فلا يمكن أن أرى...

فقاطعته من بين أسنانها:

- سألتك هل كنت ستستمر؟

فهز رأسه متمتماً:

- لا أستطيع الاجابة على هذا.

فبرقت عيناها:

- ولماذا؟ لأنك خائف؟ لأنك ترتعد رعباً من الاعتراف بأية مشاعر أساسية يتعم بها بقية الناس؟ أنت لست آلة يا طوني! مهما

كنت تحاول الادعاء... لذلك يجب أن ترد على سؤالي!

- لا تكلميني بهذه اللهجة!

- أجبني يا طوني!

غادر التوتر جسده واستدار إليها، وقال متقياً كلماته بحذر:

- أنت كالطفلة التي لا تحب أن تتراجع... لو لم تكوني أم بيتي، فأنا أعترف، وعلى مضض، أنني سأجدك مرغوبة... ولكنك أمها، لهذا أن الوضع غير ممكن.

وسار نحو الباب... فسألته:

- إلى أين... إلى أين أنت ذاهب؟

- سأغيب طوال اليوم، فلدي موعد.

- اوه... صحيح؟

- أجل... موعد عمل.

فقالت بوقاحة ظاهرة:

- تمتع بيومك إذن... ولا تفرط في العمل...

ونظر طوني بسرعة إلى ساعته:

- ليس لدي الوقت لأجادلك... ستابع نقاشنا عندما أعود.

- ولكن بالكاد يكون هذا نقاشاً فأنت تهرب دائماً... اوه... اذهب من هنا يا طوني!

فقال متجهماً:

- يوماً ما، ستدفعينني عنك، ولن أكون مسؤولاً حينذاك عما قد أفعل.

وردت عليه بسخرية:

- لن أستطيع الانتظار.

كان رده أن صفق الباب وراءه... اللعنة! مسكين يا طوني، لم يعد يستطيع مناقشة موضوع شخصي دون أن يتقلب إلى جدال واسع النطاق.

www.rewayti.net

ابتسمت عندما سمعت بيت تقترب ومعها بيتسي... ودخلت بيت الغرفة، تحمل بيتسي، التي كانت تضحك بسعادة كالعادة. فأخذتها ليزا بين ذراعيها:

- مرحباً يا حبيبتي! يبدو أننا سنذهب لوحدنا إلى الشاطىء.

فقالت بيت:

- اوه... هل ترغبين في أن أذهب معكما؟

- لا... فاليوم يوم راحتك. أنت ذاهبة إلى الغربة، أليس كذلك؟

- للنزهة فقط... ويمكن أن أستغني عنها لو رغبت في...

- بالطبع لا. يمكننا تدبير أمرنا ليوم واحد... فخذي فرصتك... فأنت في إجازة كذلك...

راقبت ليزا الطفلة وهي تلعب فوق الرمال... كم هي سعيدة! كان طوني قد بنى حظيرة لبيتسي على الشاطىء، وكانا عادة يضعانها فيها عندما يسبحان، وهكذا فعلت الآن.

واستلقت ليزا تعوم على ظهرها فوق المياه الزرقاء، تحدق بالسماء الخالية من النجوم فوقها... أمر غريب... إنها تفتقد طوني. توافقا خلال الأيام القليلة الماضية حتى أنها أصبحت تشتاق لصحبته... ولكن أين كرامتها، أين تلك الاستقلالية المتصلبة التي حافظت عليها خلال السنة التي مرت؟ انها الآن تتمتع في الاعتماد على طوني... وهذا ما حدث بدون أن تحس.

لمس شيء قدمها... ليقطع أفكارها... ويرميها بالرعب... انقلبت على وجهها، وسقطت خصلات شعرها فوق جبينها، وحدقت بزوج من العيون البنية الضاحكة... فسألته بغضب:

- ماذا تظن نفسك تفعل؟

توازن الرجل في الماء بقربها وأجاب:

- قبل لحظات كنت أسبح بكل سعادة. ثم برزت أمام نظري

حورية بحر حمراء الشعر... وهكذا كان عليّ أن أتفحصها.

- ولكن ماذا تقصد من إخافتي هكذا؟ لقد أخفتني جداً!

فنظر إليها بارتباك:

- لم تكن هذه غلطتي تماماً. لقد كلمتك أولاً. ولكنك لم تسمعيني.

بدأت بالتدريج تعترف بأنه رجل وسيم، في حوالي الثلاثين من العمر، وجسم كله عضلات، وسألته:

- ماذا تفعل هنا؟

- هنا بالذات أم في إسبانيا؟

فابتسمت رغماً عنها.

- هنا بالذات.

ففحك:

- وهل يمكن أن تعرفي؟ كنت أسبح!

- انظر... هل يمكن أن نعود إلى الشاطىء... يبدو أن طفلتي مضطربة.

- بالتأكيد!

وما أن وصلا الشاطىء حتى جففت شعرها، وقدمت للغريب منشفة إضافية منها، قبلها بامتنان. لم تكن بيتسي مضطربة أبداً بل تغط في النوم... وجلس الرجل فوق الرمال إلى جانب ليزا:

- اسمي ريك جونز، على فكرة.

- وأنا ليزا كوردوفا.

- لديك طفلة جميلة.

- شكراً لك.

- وكذلك زوجك. لقد رأيته من بعيد يلاعبها.

- زوجي؟... متى شاهدته؟

- منذ بضعة أيام.

www.rewayti.net

- وليس اليوم.

أخذ ريك جونز يتفرس في وجهها ثم قال بحيرة:

- أشعر أنني أعرفك. حقاً أشعر أن عليّ أن أعرفك.

علمت أن كلامه ليس محاولة تعارف، فهي كذلك تشك أنها تعرفه، كل شيء فيه يبدو مألوفاً لها، فسألته:

- هل أنت من كندا؟

فهز رأسه.

- بل أعيش هنا. كانت كندا بلدي... أملك الفيلا التي تلي قبلتكم، ولهذا شاهدتك كثيراً...

ثم صمت لحظة وصاح:

- ليزا! بالطبع أنت ليزا كاميرون! منذ بضعة شهور كنت أبحث عنك من أجل إحدى المهمات، واتصلت بكل الوكلاء، ولكنهم قالوا إنك تركت العمل.

فردت بهدوء:

- صحيح لقد تركت مهنة العرض.

- هذا ما عرفته... ولكن أليس غريباً أن تكوني على بعد أمتار مني طوال الوقت؟

- أشك في هذا، فنحن هنا منذ أسبوع فقط... أتعني أنك أنت ذلك الريك جونز؟

- هذا يتوقف على ما تعنيه.

- المصور الشهير الغالي الثمن.

- هذا ما أظنه!

فلمعت عينا ليزا:

- ليس هناك أي افتراض فأنت ريك جونز، وهل كنت تريدني لبعض التصوير؟

- ولا زلت أريدك. فأنت فقط من يملك اللون الأصلي للشعر

الذي أريده لصورة مع المغيب أريد إلتقاطها. ألا يمكنك إعادة النظر في تقاعدك لبضعة أيام؟

هزت رأسها نفياً، فهي تعرف رأي طوني بالأمر:

- أخشى أنني لن أستطيع. ولكن هناك الكثير من العارضات لهن لون شعري. لا أصدق أنه فريد من نوعه.

- ليس فريداً، إذا أردته اصطناعياً، ولكنني لا أريد... لأنني أرغب في ربط مصداقية سمعتي بأصالته الطبيعية.

فردت بخجل:

- هذا صحيح.

بدت عليه خيبة الأمل:

- من المؤسف أن تكوني خارج الدائرة الآن. فأنت من أحتاج إليها بالضبط. ألا يمكن أن يسمح لك زوجك لمرة واحدة فقط، فدونك سألغي الفكرة.

فبدا الأسف على وجهها:

- طوني لا يوافق على مبدأ الزوجات العاملات.

فقطب:

- طوني؟ هل أنت متزوجة من طوني كورودوفا؟

- وهل تعرفه؟

- لا أعرفه بالضبط... لقد التقينا عدة مرات... كنت أعرف شقيقه أكثر.

- كنت تعرف لوسيان؟

- نعم... لقد أسفت جداً لسماع خبر موته... وأظن أن طوني قد دمره الخبر... فقد كانا قريبين جداً من بعضهما؟

- صحيح!

فابتسم لها ريك:

- على الأقل، لديه أنت لتساعديه على النسيان، ليس هناك أسوأ

www.rewayti.net

من أن يكون المرء لوحده عندما يحصل شيء كهذا.

وردت بدون تفكير:

- اوه... لم أكن متزوجة في ذلك الوقت.

أجفلت عندما رأته ينظر إلى بيشي البالغة الستة، وتوصل إلى استنتاج خاطئ، فقال محرجاً:

- فهمت... على الأقل أنت معه الآن.

- ليس الأمر كما تظن... وأتمنى لو أنني أستطيع أن أشرح لك...

- لست مضطرة لهذا. وما أهمية الأمر إذا كنتما الآن متزوجان... ليس الأمر من شأني... هل أنتما هنا في إجازة؟

- لبضعة أسابيع، ويبدو أن طوني لديه أعمال هنا أيضاً.

وقف ريك مستأذناً:

- يجب أن أقول إنني لم أعرفه، ولكنني لم أره سوى من مسافة. أيمكن أن أراك غداً؟ يجب أن أذهب الآن فلدي بعض الضيوف يقيمون عندي... هل يمكن أن أراك غداً؟

- أعتقد هذا... ولكني...

فضحك:

- لا تقلقي يا ليزا. صحيح أنني لم أثق بطوني سوى بضع مرات، إلا أنني أعرف تماماً أي نوع من الأزواج هو. وبصراحة... لا لومه.

- شكراً لك للمديح، وشكراً للتفهم. فطوني قد لا يحب أن التقي بك هكذا... إنه متملك جداً...

...«مرتاب» ربما كانت أنسب... فهو يرتاب بكل حركة تقوم بها.

- حسناً... ربما أستطيع رؤيتك إذن.

ولم يكن أمام ليزا فرصة لتفكر بتعارفها الجديد، ولا بإمكانية

تصويرها على يد المصور الشهير ريك جونز، فقد استفاقت بيشي في تلك اللحظة وجعلت من المستحيل أن تفكر بسواها. وهكذا لم تتح لليزا لحظة لها حتى وقت العشاء، حيث نامت بيشي في غرفتها.

لم يكن طوني قد عاد عندما جلست تتناول العشاء، وفيما هي ترتشف قهوتها، وصل... وبذلت جهداً لتبدو هادئة، مع أنها قلقت عليه:

- مساء الخير.

فردت ببرود متجاهلة الرد الاجتماعي:

- لقد تناولت العشاء.

- وأنا كذلك. لقد تناولته في المدينة.

- حقاً؟ ألم يبدر إلى ذهنك أن تعلمني بالأمر؟ لم يكن لدي فكرة أنك لا تنوي العشاء هنا.

- ولا أنا... فالاجتماع استمر لوقت أطول مما افترضت.

وطالت نظراتها إليه وتساءلت:

- حقاً؟

وضع فنجان القهوة من يده بقوة فوق الطاولة، وأدهشها أنه لم يتكسر:

- إلى ماذا تلمحين الآن؟ إلى أنني لم أكن في اجتماع عمل؟ أو أن أكون قد قابلت امرأة أخرى؟

واجفلت ليزا لهجومه... إنه غاضب فعلاً، ولكنه بدا جذاباً في غضبه... فقالت بحيرة:

- حسناً...

والتقط الفنجان ليرتشف ما تبقى فيه:

- تبدين كالزوجة الغيورة... يا زوجتي!

فوقفت، غاضبة أكثر من غضبه:

- أنا لست غيورة يا طوني! لم أكن أفكر بشيء قبل وصولك.

www.rewayti.net

فماذا دهاك لتعود إلى المنزل بهذا المزاج المكر؟

- لا شيء ولكن ارتيابك أثارني.

- لم أكن مرتابة! ولكنني أرتاب الآن... لماذا تدافع عن نفسك هكذا؟

وتوجه نحو الباب:

- لست أدافع عن نفسي... سأذهب إلى غرفتي.

- ولكن الوقت مبكر يا طوني... ولم أرك طوال اليوم.

- لدي بعض الأوراق المهمة أريد أن أدرسها.

- سبق وقلت انك لن تعمل في هذه الإجازة.

- لم أكن أنوي، ولكن هذا ما حصل بدون أن أتوقعه. وسأغيب في الغد أيضاً.

بدت خيبتها واضحة... ولكنه فتح الباب وخرج... وتركها تحدق وراءه بالباب المقفل. كانت الساعة التاسعة والنصف، ولا شيء أمامها تفعله سوى أن تذهب إلى غرفتها، لتقرأ كتاباً ثم تنام... ما هذه الإجازة!

استدارت ليزا بحيرة فوق وسادتها عندما سمعت صوت باب غرفتها يفتح ثم يغلق. الإضاءة الوحيدة كانت تأتي من المصباح الصغير قرب سريرها، الذي كانت تقرأ على ضوئه. وحدقت في الفتحة لتتبين من هو زائرها... وجلست بقلق:

- بيت؟

- لا. لست بيت.

تحرك طوني نحو النور الناعم الذي ينبعث من المصباح، يرتدي روباً من الحرير الأسود فوق بيجامة مماثلة... كان يجب أن تعرف أن الداخل هو طوني، فقد استخدم الباب المشترك بين غرفتيهما. ولكنها لم تكن تعتقد مطلقاً أنه سيدخل هكذا.

قال ووجهه متجهم:

- لقد دخلت لأعتذر.

- تعتذر؟

- لتصرفي الفظ معك قبل قليل، ما كان يجب أن أوجه غضبي إليك. فأنت لم تخطئي بشيء.

وبدا متكبراً... وأحست بالغرابة للحديث معه بألفة داخل غرفة نومها، مع أنه له كامل الحق في أن يكون هنا، إنه زوجها، ومن حق الزوج زيارة غرفة نوم زوجته... وقالت له:

- هل كنت غاضباً من شيء؟ ومن أفضل مني لترمي بغضبك عليه؟

فابتسم، وانفرجت أساريره، وهذا لم تكن تتوقعه، وقال:

- إذا كنت تحاولين جعلي أشعر بالذنب، فمن الإنصاف أن أقول إنك نجحت.

أحست ليزا بالتوتر يتلاشى منها:

- لم أقصد أن أجعلك تشعر بالذنب... ولكنني أردت أن تعرف أني أفهم رغبتك في مهاجمة شخص ما. وأنا الشخص المناسب، كما ستكون أنت في حال غضبي.

فقال بهدوء وهو يحدق إليها:

- بإمكانك أن تكوني جدية كثيراً لشابة صغيرة. تبدين دائماً هادئة ومسيطرة على نفسك، مستعدة لكل شيء بكل الطرق.

- ولكنني لست هكذا الآن.

فاتسعت عيناه لمظاهر الخجل على وجهها، وقال بصوت أجش:

- ومع ذلك لا تبدين أقل جمالاً.

واقترب منها:

- أنت جذابة ليزا... جذابة جداً لأن يبقى فكري مرتاحاً. كيف من المفترض أن أنام وأنت في فراشي في الغرفة الملاحقة لغرفتي؟

آخر جملة خرجت منه كالآهة. وجلس بقربها على السرير، ومد يده ليداعب وجهها... ويكمل كلامه:

www.rewayti.net

ـ أنت كالشمعة تجذبيني إليك. وأنا كالطفل أقع تحت سحر فتنتك بدون أن أهتم لو احترقت.

استجابت ليزا لصوته المعذب، وأحست بجسدها فارغاً ويحتاج لأن يمتلكه طوني بالكامل. وبدأ جسداهما بالانجذاب إلى بعضهما على الرغم من تعاليم عقليهما... وتحركت طوعاً نحوه...

تجاوبها كان أقصى ما يحتاجه طوني ليفقد سيطرته على نفسه. فامتدت ذراعاه نحوها ليجذبها إلى قساوة صدره. وللحظات طويلة مليئة بالعذاب أخذ ينظر في عينيها المليئتين بالرغبة، ثم احتواها تماماً في عناق شديد.

لم يكن قد عانقها من قبل. ولم تكن واثقة كيف سيكون إحساسها لعناقه. ولكن كما توقعت، استولى طوني على القيادة، وبدأت يداه في رحلة الاستكشاف، وأحست بأن المشاعر التي أثارها فيها تكاد لا تحتملها.

ألقاها بلطف فوق الملاءة الباردة، ثم تسلل إلى الفراش بقربها، ونظر إليها قائلاً:

ـ أريدك ليزا... أريدك.

لم تكن ليزا تعي سوى ضغط جسده، وليست بحاجة إلى كلماته المثيرة تخبرها عن حاجته لها. وأحست بشعره يترطب تحت لمستها، وملأت رائحة عرقه أنفها:

ـ طوني أنا...

ـ لا تتكلمي ليزا... أشعري فقط... أحسي بالتيار الموجود بيننا. بالسعادة التي يمكن لكلينا أن تمنحها لبعضنا بسهولة.

ـ ولكن طوني...

قاومت كي تعيده إلى تعقله، ولكن عقلها قاوم أكثر ضد هذه الفكرة. ففي هذه اللحظات لا تبدو أية أهمية سوى لرغبتهما.

وأخذت تحس... واشتعل جسدها للمسته، فارتجفت، ودفعت

بنفسها إلى أحضانه. وبدا لها أن حاجزاً كان بينهما قد انفجر...

ورمت برأسها إلى الخلف، لم تحس من قبل بمثل هذه المشاعر المثيرة، لم يلمسها أي رجل من قبل هكذا، ولكن لا مجال للرفض. وتحركت يداها إلى صدره، ثم إلى كتفيه... ولكن يداه منعتاها من المتابعة وقال بصوت أجش:

ـ ليس بعد يا ليزا.

وبدا أن كل همه الآن أن يعود للسيطرة على نفسه، فاتسعت عيناها دهشة. وتحرك مبتعداً عنها، ثم استند إلى مرفقه لينظر إليها بعينين مشتعلتين كالجمر. وقال:

ـ أريد أن أنظر إليك... لأمتع عيناي بكل ذرة من جسدك الجميل... وبعدها أريدك أن تفعلي الشيء نفسه معي، أتفهمين؟ أريدك أن تعجبي بي أكثر من إعجابك بأي رجل مر في حياتك. وأن أكون أنا الرجل الوحيد الذي تستجيبين له، ترغبين في لمسته، وتحبيه!

وأحست ليزا بالذعر يجتاحها بقوة:

ـ لا يمكن أن تعني ما تقول!

فضحك باختصار:

ـ كل ما أعنيه أنني سأغازلك الليلة حتى لا تفكري ثانية بأي رجل غيري. فهل هذا صعب الفهم؟

كاد تعقلها يضيع ثانية لمعاودته لمسها، ولكن التعقل عاد ليتسلم زمام الأمور، وبدأت تقاوم، فضاقت عيناه... وسألها بحدة:

ـ ماذا تفعلين؟ لماذا تقاوميني؟

ـ لأنني... لأنك تتصرف كالحيوان! أنت لا تريدني إلا لتبرهن عن رجولتك، لتبرهن كم أنت قادر... حسناً... لن تنجح هكذا. وأريدك أن تخرج من غرفتي... اخرج الآن!

غادر طوني السرير فوراً ليقف كتمثال إله إغريقي في مواجهة

www.rewayti.net

الأشعة الذهبية المنبعثة من المصباح. غير مهتم بكونه شبه عار. عيناه لا يبدو فيهما سوى الاحتقار لها وهي مستلقية في وضع مغرٍ بين ملاءات السرير. وقال بعد أن سارعت لتغطية نفسها:

- الوقت متأخر لهذا، أليس كذلك؟

فردت بامتعاض:

- أنت من سببت لي هذا.

- ولكنك لم تقاومني في البداية.

- أنا... لقد حاولت.

- لا... لم تحاولي!

وجلست في السرير، والملاءة ملفوفة على جسدها:

- لم أدعك إلى هنا! ولا أحد دعاك!

- عيناك تدعواني كلما نظرت إلي. وليس في وسعي إلا أن أستجيب. لقد تعاديت الليلة معي، وكنت قد حذرتك من هذا إلا أنك لم تهتمي بهذا التحذير. وعندما دخلت لأراك نظرت إلي وأنت مستلقية، والدعوة على كل خط من خطوط جسدك.

- هذا غير صحيح.

- بلى، إنه صحيح. لا بد أنني جننت، يا إلهي! يجب أن أخرج من هنا!

- كم أتمنى ذلك.

- بالرغم من نواياي السيئة، سيحدث هذا مرات ومرات إذا لم استطع السيطرة على رغبتي فيك. سأذهب، ولكن أرجوك أن تصدقيني هذه المرة إذا قلت إنني سأسعى جهدي أن لا يحدث هذا ثانية!

- هذا كل ما أطلبه!

• • •

٧ - مَنْ يخون مَنْ؟

في الصباح التالي أحست ليزا بدوار حاد... وكأن ما حدث بينها وبين طوني كان حلما، ولكن كل ما حولها أكد أنه دخل غرفتها ليلة أمس.

الشيء الوحيد الذي أعادها إلى رشدها ليلة أمس، كان وعد طوني لها بأن ينسيها كل الرجال الذين عرفتهم في حياتها. هذا يعني أن طوني سيسعى إلى امتلاكها، الأمر الذي سيبرهن له أن ما من أحد قبله... وهذا ما لن تستطيع السماح بحدوثه.

غادرت السرير وهي تجرجر بؤسها... وقد أخفت عريها بروب حريري. الآن هي مجبرة على ارتداء ملابسها والنزول إلى الطابق الأرضي لتواجهه، مع أنها غير واثقة من قدرتها على ذلك.

دوش سريع... وبعض التأني في وضع المكياج، فبدت مقبولة. ترددت في دخول غرفة الطعام، ولكنها أجبرت نفسها... لتحد من تخشى مواجهته غالبا، وما من أحد في الغرفة، بيت والطفلة كانتا تلعبان على الرمال في الخارج... وما أن رأت بيت ليزا في غرفة الطعام حتى اقتربت منها وأخبرتها:

- السيد كوردوفا... ليس هنا... لقد خرج منذ حوالي الساعة.

- خرج؟

بدت مضطربة، وأعصابها محطمة لاكتشافها أنها تحب زوجها. وأضافت بيت:

- نعم... قال إنك تعرفين أين ذهب.

www.rewayti.net

وملأ الألم عينا ليزا:

- هل هذه هي الرسالة التي تركها قبل أن يخرج؟

- قال أيضاً إنه لن يعود للعشاء. وقال إنك تعرفين هذا.

فأدارت ليزا وجهها تتظاهر بشرب القهوة. إذن هذا هو كل رده على المشاعر التي ثارت بالأمس بينهما... سيتجنبها قدر استطاعته. وخجلها من مقابلته لم يكن ضرورياً... ولكن ستضطر لمواجهته هذا المساء... عندما يعود.

قالت بيت:

- حسن جداً سيد كوردوفا، سأحضر أغراض بيتسي للذهاب إلى الشاطىء.

- سأنتظرك هنا فنذهب معاً.

تركت بيت وبيتسي على الشاطىء تسير باتجاه فيلا ريك جونز. لا يمكن أن تكون بعيدة. لقد قال إنه يريد رؤيتها اليوم، فلماذا لا تبادر إلى زيارته؟

كانت فيلا ريك جونز أبعد مما تصورت، على الأقل تبعد ثلاثة كيلومترات. ولكنها عرفت أنها وصلت إلى المكان المطلوب لأن ريك وعدد من الرجال كانوا يتمددون على الشاطىء قبالة الفيلا. بعضهم كان على وشك السباحة حين التفت منهم وشاهدها ريك، فوقف وقد بدا عليه السرور:

- ليزا! تعالي إلى هنا.

قدمها إلى عدد من رفاقه قبل أن يصطحبها إلى الفيلا، فقالت له:

- لديك الكثير من الأصدقاء يقيمون معك.

فضحك:

- ليس الجميع هنا. فرجلان وثلاثة فتيات ذهبوا إلى المدينة للتسوق. إن عدد ضيوفي دزينة.

- وماذا تفعلون طوال اليوم؟

فهز كتفيه:

- نسبح، نتشمس، نغطس تحت الماء. في الواقع ستة من ضيوفي ليسوا في إجازة هنا، بل للعمل. لوك هناك هو المصور، وجاك يمثل الشركة التي يصورون لها، أما جيزيل فهي إحدى العارضات. والعارضات الثلاثة الأخريات ذهبن للتسوق.

فقالت معلقة:

- يبدو أن الجميع يمرح.

- اوه... بالفعل. ولكنني أفضل الهدوء والسكينة. وسيغادرون بعد ثلاثة أيام. متى ستغادرين أنت؟

فهزت كتفيها:

- لم يقرر طوني بعد. فهذا يتوقف عليه.

- إذن ربما ستتمكن من الاجتماع عندما ينصرف هذا الجمع... ربما تمكنت من إقناع طوني بالمجيء معك إلى هنا؟

- لست أدري... إنه... لا يعلم أنني هنا.

فقال مفكراً:

- لا... لا أعتقد أنه يعلم. حسناً، ربما ستتمكن من زيارتكم يوماً وأعرفه بوجودي... لم تكن أصدقاء مقربين أبداً. مجرد معرفة، ومع ذلك فلا أظنه سيرفض دعوتي له لزيارتي.

لم تكن ليزا واثقة من هذا، فبإمكان طوني أن يكون متعجرفاً لو أراد. ولكنها وافقت معه:

- بإمكانك التجربة.

- وأين الطفلة الآن؟

فابتسمت بلطف لدى تفكيرها ببيتسي:

- إنها مع فتاة شابة استخدمناها لترعاها... وبما أنه إسباني الأصل لا يعتقد أن علي رعايتها طوال الوقت، فهم هنا عادة يوظفون

www.rewayti.net

مربيات لوقت كامل في منازلهم. مع أنني لا أوافق على هذا، ولكن طوني عنيد جداً في مثل هذه الأمور.

فضحك:

- يمكنني تصور هذا. هل جئت معك بثوب السباحة؟

- أرتديه تحت البنطلون والتي شيرت. هذا إذا سمحت لي باستخدام منشفة من عندك.

- سأحضر لك واحدة.

خلعت ثيابها خلال غياب ريك لتكشف عن جسدها الرشيق الملوّح بأشعة الشمس. أعطاها ريك منشفة موردة وهو يقول:

- واو! كم أنت جميلة!

فاحمرّ وجهها:

- هل تتلفظ عادة بمثل هذه الملاحظات للسيدات المتزوجات؟

- إذا كن مثلك... أجل، وإلا... فلا. لقد خسرك عالم الأزياء... وخسارتنا كسب لطوني

وتنهد... فضحكت:

- قد أوافقك على القسم الأول، ولكني لست واثقة من طوني.

- أنا أكيد أنه الكاسب. تعالي... لنسبح... إنه يوم جيد وحرام أن نضيعه.

وسبحا نصف ساعة أو أكثر قبل أن يستلقيا على الرمال، وحديثهما لا يزال يتدفق. كان بينهما أشياء كثيرة مشتركة، ويعرفان الأشخاص إياهم، حتى أنهما وجدا الكثير من الأمور للتحدث عنها... ولم تتعجب ليزا عندما وجدت الساعة قد أصبحت الخامسة والنصف، وأن وقت عودتها قد حان.

قال لها ريك:

- لماذا لا تبقين للعشاء... لقد رفضت الغداء فلا ترفضي العشاء... هل سيكون طوني هناك؟

- لا، ولكنني...

- إذن ستبقين هنا، سأوصلك إلى المنزل لتغيري ملابسك.

أحست بالخجل لاضطرارها إلى مقابلة الكثير من ضيوف ريك، ولكن طوني لن يكون هناك، وبقاؤها هنا أفضل بكثير من تناولها الطعام لوحدها... فوافقت... وبسرعة أحضر ريك مفاتيح سيارته.

- هل أنت جاهزة؟

- جاهزة. هل يجب أن تخبرهم إلى أين سنذهب؟

- لا... لن يفتقدونا حتى. فنحن هنا غير رسميين، وكل شخص يفعل ما يريد.

وصلا الفيلا في أقل من خمس دقائق فدعته للدخول وتناول كوب عصير بينما تستحم وتغير ملابسها... وسألت بيت وهي تتفقد بيتي:

- هل اتصل السيد كوروودفا؟

- لا... هل كنت تتوقعين مكالمة منه؟

- كنت أتساءل فقط ما إذا كان قد غير فكره بالنسبة للعشاء. فأنا سأخرج لأتعشى مع أصدقائي، ولا أريده أن يتصل ويجدني في الخارج.

- حسناً، إنه لم يتصل، وإذا اتصل سأبلغه أنك خرجت.

وابتسمت ليزا للطفلة:

- اذهبي إلى فراشك الآن، وسأتفقدك عندما أعود... لن أتأخر، وربما أعود قبل أن يصل طوني.

ساعدها على الصعود إلى السيارة ثانية، وقال لها:

- أتعلمين! أحب مغازلة المتزوجات، فهذا أكثر أماناً من مغازلة الفتيات العازبات.

- هذا صحيح إذا لم يكتشف الزوج الغيور أمرك.

- ولكنه بعيد الآن في عمل.

www.rewayti.net

فقطبت:

- من تقصد؟

- طوني... بالطبع.

فاحمرّ وجهها:

- اوه... بالطبع. ولكنني لا أتصوره في دور الزوج الغيور.

- أما أنا فأستطيع... ربما لم تعطه بعد السبب للغيرة بعد. فأطباع هذا الإسباني يمكن أن تكون عاصفة بعض الأحيان.

لم تكن تريد أن تفكر به الليلة أرادت أن تنسى أنها متزوجة، أن تنسى إحساسها الجديد بالحب له. وهكذا فعلت لبضع ساعات انضمت متعمدة إلى أجواء الضحك والأحاديث التي جرت بين ثمانية أشخاص كل همهم أن يتمتعوا بوقتهم.

ضيوف ريك، الذين ذهبوا للتسوق، لم يعودوا بعد، مع أن ريك كان واثقاً أنهم سيصلون وهم يرقصون عند الشاطىء.

هذا هو نمط الحفلات الذي كان يعجب ليزا قبل أن تقتحم بيتسي حياتها. حفلات مرحة خالية من الهموم، كان ينتج عنها دوماً عزل لا ضرر منه... وهكذا وجدت نفسها عند مغيب الشمس تستند إلى كتف ريك، يغنيان معاً بسعادة مع نغم الموسيقى.

كانا يضحكان بسعادة، عندما أحست بعينين تراقبانها، حتى أنها بالكاد تجرأت على الالتفات. وشحب وجهها وتلاشى كل مرح عندما التقت عيناها بعيني زوجها.

الفتيات الأخريات اللواتي كن يتسوقن، عدن من تسوقهن. وأحست ليزا بالغضب لرؤية أن ميرا تريستال كانت واحدة منهن. وأنها كانت تتعلق بذراع طوني بشدة، ويبدو عليها منظر القطة التي سرقت الجبنة، وأحست ليزا بالغضب مزوجاً بالغيرة.

شاهد ريك القادمين بدوره، وأمسك بذراع ليزا وهي تحاول التقدم نحوهم ليضمها إلى جانبه هامساً:

- اهدأي ليزا. فضيحة من هذا النوع هو ما ستتمتع به ميرا تماماً.

وابتسم ابتسامة بدت طبيعية... وقال لها بهمس والابتسامة لا زالت تلازم وجهه:

- لا تظهري الاهتمام... ستحب هذا كثيراً.

فعلت ما بوسعها لتعمل بنصيحته، واسترخت، وأخذت تراقب ميرا وزوجها يتناولان الطعام... قالت بصوت متهدج:

- ولكن هذا زوجي يا ريك. لا أستطيع تجاهل أنه مع امرأة أخرى!

- وهل هذه هي المرة الأولى؟

- ألا يدلك رد فعلي على هذا؟ اوه... أعلم أن الأمور ليست على ما يرام بيننا، ولكنني لم أتوقع هذا... أشعر بالخيانة، بالإحباط...

- كم الأمور سيئة بينكما؟

ملأت الدموع عينيها:

- سيئة جداً... في الواقع الشيء الوحيد الذي يبقي على الزواج هو وجود بيتسي... فكلانا يحبها.

- هذا ما لاحظته... وإذا كانت الأمور بهذا السوء بينكما... حسناً ميرا جذابة... وبدون أخلاق... وطوني... حسناً... إنه رجل!

فتنهدت:

- أعلم ما تحاول قوله... ولكن إيجاد الأعذار لتصرفاته لا يسهل الأمور.

- أعلم هذا... ولكنني أحاول أن أشرح لك أن الرجال يختلفون عن النساء. أعني... عدا الفروقات المعروفة. فالعلاقات الجنسية هي جزء من الحياة بالنسبة للرجل.

- وإذا لم يحصل على ما يريد في بيته، يحصل عليه في مكان

www.rewayti.net

آخر.

وبدا القلق على ريك.

ـ شيء من هذا... وميرا لا تنفر من أية علاقة.

ـ أعرف هذا، لقد قالت لي نفسها.

وبدت عليه الدهشة:

ـ قالت لك هذا؟

ـ أجل... لقد جاءت إلى منزلي منذ أسابيع.

وهز رأسه غير مصدق:

ـ يا إلهي! هل أتى بها إلى منزلك؟ ألم تعرفي ما يجري حينذاك؟

ـ لقد سألته، فأنكر بقوة.

ونظر من فوق كتفها ثم قال:

ـ حسناً ستبرهنين الآن كم أنت ناضجة، إنهما يقتربان معاً.

نهضت ليزا لتقف بمساعدة ريك. وأخذت تنفض الرمال عن تنورتها، متعمدة تأخير لحظة رفع رأسها إلى الأعلى بكبرياء لتلتقي بالغضب المطبوع على وجه زوجها... وهز طوني رأسه بحدة:

ـ ريك...

ثم التفت إليها:

ـ لم أكن أعلم أنك قادمة إلى هنا الليلة. وإلا لكنا جئنا معاً.

إذن، لقد اختار الادعاء، مع أن الأربعة يعلمون جيداً حقيقة الظروف التي دفعت بالزوجين لأن يكونا هنا. ولسوف يتصرف طوني وكأنه لم يأت إلى هنا بصحبة امرأة أخرى، مع المرأة التي كانت عشيقته طوال وقت زواجهما. وربما قبله أيضاً. الآن جاء دورها لترمي الاتهامات في وجهه بدل أن تتلقاها هي منه.

ـ لم يكن لدي فكرة عن السهرة إلا عصر هذا اليوم، عندما دعاني ريك.

نظر طوني ثانية إلى الرجل الآخر:

ـ لم أكن أعلم أنك تعرف زوجتي.

ـ حسناً... أنا...

فقاطعته ليزا:

ـ نحن نعرف بعضنا منذ زمن بعيد.

وأحست ميرا أن الجميع يتجاهلها، فشددت قبضة يدها على ذراع طوني إظهاراً لتملكها له أكثر من مشاعرها نحوه... فقالت وهي تنظر إليه:

ـ لقد ذهبت مع طوني للتسوق هذا الصباح. أليس كذلك يا حبيبي؟

اشتدت شفتاه فوق بعضهما، ونظر إلى ليزا بحدة:

ـ لقد التقينا لوقت قصير في السوق.

فردت بإصرار، مصممة بشكل واضح أن تعلم ليزا قضائهما اليوم بكامله معاً:

ـ ثم أخذتني للغداء.

فقال باختصار:

ـ أجل.

وأحست ليزا أن السكين تنغرز في صدرها بعمق... لقد ذهب طوني، بطريقة ما، من بين ذراعيها إلى هذه المرأة... وما من شك أنها أشبعت له غريزته، على عكسها تماماً. وسألته ليزا عن قصد:

ـ كيف تم اجتماع «العمل» يا حبيبي؟

لاحظت احمراراً طفيفاً على بشرته السمراء لاستخدامها كلمة الغزل بدون صعوبة... وأجاب متصلباً:

ـ لقد انتهى باكراً خلافاً لما توقعت.

فردت بحلاوة:

ـ هكذا إذن... كم من المؤسف أنك لم تتصل لتخبرني بهذا.

ـ لم أر ضرورة لذلك.

www.rewayti.net

فأجابته بخشونة:

- صحيح... معك حق.

واستدارت إلى ميرا متجاهلة نظرة الرضى الكريهة على وجهها، وقالت:

- كم جميل أن أراك ثانية ميرا.

فردت ميرا بصوت منخفض مذهول:

- صحيح؟

ورغبت ليزا أن ترد على التحدي الذي بدا في لهجة الفتاة الأخرى، أرادت أن تصرخ وتصرخ بحبها لطوني... ولكن هذا لو حدث، فلا يمكن أن يكون يحبها وقد دعا عشيقته إلى عطلتهما.

وهكذا لم ترد، وتجاهلتها ثانية، وقالت:

- ريك كان على وشك أن يوصلني إلى المنزل.

كلماتها سببت المزيد من الغضب على وجه طوني فضاقت عيناه.

- بما أنني هنا الآن، فأنا قادر على أخذ زوجتي إلى المنزل.

وبدأت بالاحتجاج:

- آه... ولكن...

ولكن نظرة الغضب من طوني أسكتها. ونظرت ميرا إليه.

- ولكننا وصلنا إلى هنا لتونا يا حبيبي. وبالتأكيد لست مضطراً إلى الخروج باكراً؟

فرد بصوت منخفض:

- أظن أن هذا أفضل.

وسألته بوقاحة وإغواء:

- الغداء؟ في الغد؟

- لست واثقاً...

فتدخل ريك بسعادة:

- فكرة رائعة، وستتمكن من جلب ليزا معك... فلست واثقاً

أنني سأتمكن من الذهاب لجلبها بنفسي. سآخذ سيارتي في الغد للصيانة. ولكن إذا كنت قادماً يا طوني، فلتأت معك.

كلماته أوحت بأنهما متفقان على هذا سلفاً. وأحست بالامتنان لدعمه لها. وأحست أن طوني لم يكن سعيداً، فقد برقت عيناه وهو يرمق الرجل الآخر بغضب.

استدار لينظر إليها، وسألها باقتضاب:

- هل يناسبك هذا؟

وعلمت من نظراته أنه يتوقع أن ترفض. ولكن شيطاناً في داخلها حثها على القبول. فواجهته متحدية، قد يكون له عشيقة، ولكنها لن تشجع مثل هذه العلاقة... وقالت بعذوبة:

- أظنها فكرة ممتازة.

فأطرق رأسه وسأل مضيفهما:

- حسن جداً... هل يناسبك الساعة الواحدة؟

- عظيم... أراك في الغد إذن ليزا.

خلال الحديث كان ريك يجذبها ليبتعد بها عن الآخرين. إلى أن أصبحا على مسافة منهما، وقال لها:

- ابقي رأسك مرفوعاً يا حبي... إنه زوجك في مطلق الأحوال.

ونظرت إلى الخلف، إلى حيث كانت ميرا تشغل طوني في حديث عميق، وجهها مشرق بالنشاط، عيناها تبرقان، وقالت لريك:

- حاول أن تقنع ميرا بهذا.

- الأمور ليست كما تبدو دائماً... فاتركي له الفرصة ليفسر موقفه.

وهكذا فعلت... ولكنه طوال الطريق إلى المنزل بقي صامتاً، فمه مشدود حتى أصبح كالخط الرفيع، والغضب بادٍ عليه. ولكن لماذا الغضب؟ هي من يحق له أن يغضب، فقد أحست بالإذلال عندما وصل مع عشيقته وقد تعلقت بذراعه.

www.rewayti.net

ما أن دخلا الڤيلا حتى فقدت الصبر، ففتحت فمها:

- طوني... أنا...

فصاح بها:

- أنت اصمتي... على الأقل انتظري إلى أن نصبح في خلوة قبل أن تسببي فضيحة. فقد يدخل علينا أحد الخدم في أية لحظة.

فصاحت متهورة:

- ولا يجب أن تفعل هذا أليس كذلك؟ عليّ أن أتحمل الاذلال أمام جميع الناس، ولكن خدمك يجب أن لا يشهدوا أي جدال.

وجمدت عيناه من البرود:

- قلت اصمتي! سنذهب إلى غرفتك ونتكلم.

- غرفتي؟

فابتسم بسخرية:

- لا تخافي... لن أغويك. فلا مزاج لي لهذا الآن، لا لك ولا لأية امرأة.

- هذا لأنك فعلت وانتهيت!

فاسودّ وجهه من الغضب... وأخافها غضبه:

- فلنذهب إلى غرفتك!

●●●

٨ ـ البديل

اضاءت ليزا المصباحين الصغيرين قرب سريرها. واستدارت مستعدة لتواجه طوني، وهو يغلق الباب بهدوء خلفه:

- ها قد أصبحنا في غرفتي... فماذا بعد؟

- أريد أن أعرف ماذا كنت تفعلين في ڤيلا ريك جونز.

- تريد أن تعرف ماذا؟

فضحكت ضحكة مفرقعة بالغضب:

- ألا تظن أن قضاءك اليوم بكامله مع امرأة أخرى أهمّ من هذا؟ كنت تعاشرها، ثم ذهبت إلى منزل شخص آخر برفقتها؟ أظن هذا أكثر أهمية مما فعلته أنا.

- اتهاماتك ليست عادلة...

- حقاً ما تقول؟

- ليس لديك أي دليل...

وارتفع صوتها بشكل مخيف:

- بل لديّ... اللعنة عليك! طوال الوقت كنت تصر على أنني بحاجة إلى عطلة، بينما في الواقع كان السبب الحقيقي هو لمقابلة عشيقتك. أنت تثير اشمئزازي!

وأصبح لون بشرته الداكن رمادياً:

- أنت عاهرة باردة الأعصاب سخرت مني أكثر مما أستطيع أن أتحمل، أجبرتني على رمي نفسي في أحضان امرأة أخرى لأنال ما

www.rewayti.net

حرمتني منه! وتقولين إنني أثير اشمئزازك! هل لديك فكرة عما فعلتِه بي ليلة أمس؟ عن العذاب الذي سببته لي حتى ساعات الصباح الأولى؟

قرست الكلمات في وجهه بقرف واضح:

ـ إلى أن استطعت الوصول إلى عاهرتك تشتفي غليلك!

وفقد أعصابه بدوره:

ـ وماذا لو فعلت؟ هل أنا الملام على هذا؟ هل ألام على تفتيشي عن ما أحتاجه؟

اعترافه آلمها بما يفوق الاحتمال.

ـ أجل. . . أنت الملام، وأنت تحرمني أيضاً! فلدي المشاعر نفسها التي لك. الحاجة الجسدية نفسها. . . اوه. . . لقد نسيت، فالنساء لا يجب أن يشعرن هكذا، أليس كذلك؟ من واجباتي أن أجلس مرتاحة أشعر بالرضى لأنك لا تزعجني باهتمامك غير المرغوب فيه. ولكن هذا لن ينجح. . . فللنساء مشاعر، ولكن من غير المسموح لنا أن نظهرها مثل الرجال.

ـ ألهذا كنت بين ذراعي ريك؟ هل كنت تسعين لارضاء رغباتك؟

ونظر إليها بازدراء، فصاحت به متحدية:

ـ وما الذي يجعلك تظن أنني لم أحصل على ما أريد بعد؟ فلقد ذهبت إلى هناك قبل الغداء.

وتمتم بلهجة غلبت عليها لكنته الأصلية مع تزايد غضبه:

ـ يا إلهي! ألهذه النهاية توصلنا؟ كل منا يبحث عن كفايته في مكان آخر؟

بغتة تخلت عنها الرغبة في القتال، وأحست بأنها لن تستطيع متابعة الكذب. مهما يكن قد آلمها بنفاقه وازدواجيته، فقالت:

ـ أنا لم أفعل هذا يا طوني. . . ولن أفعل. . . لن أستطيع. . .

اتسعت عيناه لكلامها:

ـ أتحاولين القول ان ذلك القسم الذي . . أمام الكاهن في

تلك البارد يعني شيئاً لك؟

ـ إنني اؤمن بقدسية الزواج. . . ولكنك سخرت لتوك من كل تلك القدسية.

ـ وإذا لم أكن قد فعلت؟

ـ ولكنك. . . لقد فعلت. . .! ميرا وأنت. . . أنت. . .

ـ لم نفعل أي شيء. طبعاً ميرا لا ترحب بهذا.

ـ ولكنك قلت لي لتوك. . .

ـ قلت لك ما كنت تتوقعين سماعه. أنت من أثرت رغباتي ليزا، وأنت وحدك من ترضينها. لقد ربطت مشاعري بقسوة حتى أنني رأيت كل شيء بلون أحمر عندما رأيتك عند ريك. وأحسست برغبة في ارتكاب جريمة عندما رأيت ذراعه على كتفيك.

تهاوى جسده، ومرر يداً متعبة في شعره الذي يعثره الهواء:

ـ كان يمكن أن أضربه بدون أن أهتم بمن يراني في غضبي.

ـ لا أفهم يا طوني. . . هذا المساء ظننتك. . . ميرا تصرفت وكأن. . .

فتنهد:

ـ لقد فعلت ذلك متعمدة، وبما أنني غبي، تركتها تفعل. . . ستغفرين يا ليزا. . .

وتهاوى فوق السرير. . . فقالت له:

ـ ولكنني لم أفعل شيئاً!

ـ لست بحاجة لفعل شيء. . . هذا الزواج لن ينجح، كما نحن الآن.

وأحست ليزا بقلبها يقفز من مكانه لنظرة الرغبة في عينيه، وأحست بالضعف في ساقيها:

ـ طوني. . . لا يمكن لنا أن. . .

ـ لماذا لا يمكننا؟ لم أعد أستطيع العيش هكذا. . . لقد انجذبت

www.rewayti.net

إليك منذ أول لقاء لنا في تلك الشقة الصغيرة التي كنت تسكنين فيها. ولكن الأمر الآن أصبح سيئاً لدرجة أنني لا أستطيع النظر إلى أية امرأة أخرى! ولا أرغب في أية امرأة أخرى، ويجب أن أحصل عليك... ألا تفهمين هذا؟

أحست برغبة للارتماء بين ذراعيه، أن تتركه يفعل بها ما يريد، إلى أن لا تعود قادرة على التفكير بأي شيء عداه، ولكنها لن تستطيع. لا يمكن أن يحدث هذا... فعودة أكبر بينهما قد تؤدي إلى خسارتها لبيتسي، وبالتالي خسارتها لطوني نفسه... وقالت بصوت متكسر:

- لن ينجح هذا يا طوني.

- لماذا لن ينجح...؟ فمن الطبيعي أن يتم هذا بين رجل وزوجته.

- لا...!

ولم تقصد أن يكون احتجاجها عنيفاً ولكن كلمتها خرجت صراخاً. وأكملت:

- لا... لا أستطيع... ألا تفهم هذا؟

- وهل تجدينني مقززاً؟

- أنت تعلم أن لا... ليلة أمس...

- لقد تجاوبت معي... أحست الرغبة نفسها، ما كان يجب أن أتكلم... كان يجب الاستمرار في مغازلتك... ولكن...

- لا... لا يا طوني ليس هذا خطأ... وليس هو السبب أنني لا أستطيع... لا أستطيع السماح لك بمعاشرتي... يوماً ما سأتمكن من شرح الأمر لك. يوماً ما، عندما تكبر بيتسي كي لا تتألم بما سأكشفه... يوماً ما... يا طوني!

- يوماً ما! وما فائدة هذا لي وأنا أريد الآن! أريدك الآن... ليزا!!

أمسك بكتفيها، وضاعت احتجاجاتها على صدره الغاضب، تلامس جسده الحار على جسدها جردها من كل تفكير. استلقيا متعانقين، وليزا غير قادرة على المقاومة. وتجولت يداها فوق صدره القوي، وأمسكت بكتفيه تشده إليها، ودفن وجهه في عنقها. فتراجع رأسها باستسلام طوعي... وقال لها متوسلاً:

- دعيني أبقى معك الليلة يا ليزا. دعيني أبقى معك.

أرادته أن يبقى... الله وحده يعلم كم أرادته! ولكن كيف ستسمح لهذا أن يحدث؟ وهل تساوي ليلة واحدة بين ذراعيه أن تمضي حياتها وحيدة، بدونه... وبدون بيتسي؟ أجبرت نفسها على الاستلقاء بدون حراك بين ذراعيه، فرفع رأسه إليها:

- ماذا بك؟ ما الأمر؟

علمت أن «لا» بسيطة لا يمكن أن توقفه هذه المرة، وأن عليها أن تتعمد القساوة إذا أرادت إبعاده عنها. وهزت رأسها بأسف:

- لا أستطيع فعل هذا... لا أستطيع فعله لك!

- وما الذي لا تستطيعين فعله لي؟ إذا كنت خجولة...

- الأمر ليس هكذا.

وتابع مداعباته لها وأخذ يسألها بصوت منخفض:

- إذن ما الأمر؟

- لا أستطيع تركك تفعل ما تريد... لأنني... لأنني أكون أستغلك كبديل!

فتراجع رأسه بشدة، وبدأت الرغبة تتلاشى عن وجهه، وقال:

- كبديل؟ بديل من؟

فقالت بهدوء:

- بديل عن لوسيان بالطبع.

للحظات ثقيلة مخيفة، لم يكن له أي رد فعل على كلماتها. والغضب بادٍ على وجهه وهو يبتعد عنها بحدة... فقالت:

www.rewayti.net

- طوني... أنا...

ورد عليها مقاطعاً من بين أسنانه:

- لا تقولي كلمة أخرى... طوال الوقت إذن كنت البديل عن أخي؟ يا إلهي كم أنت عاهرة!

- أنت تشبهه كثيراً، ولا يمكن أن أحس بطريقة أخرى.

- لقد قلت هذا من قبل... ولكننا لا نتشابه.

- ربما ليس في المزاج... ولكن في المظهر... كلما نظرت إليك أتذكره! وهكذا ترى، إذا تركتك تعاشرني أكون أفعل هذا وأنا أتصور لوسيان. وهذا ليس عدلاً بالنسبة لك.

ارتدى سترته... ثم أطرق برأسه، وبدا عليه التجهم:

- هكذا إذن... أنت فعلاً أحببت لوسيان؟

- أجل... مع أن ما ظننته بي صحيح أيضاً. وبالنسبة للطفلة، عندما ولدت كانت تشبه أي طفلة أخرى، مع علمي أنها ابنة لوسيان. ولكن لم يكن لدي أية فرصة لإقناعه بهذا.

- لأنه يعرف حقيقتك.

- هذا صحيح... فأنا بالضبط ما قاله عني... ولكنني أحببت لوسيان، لهذا استبقيت بيتسي.

- ولا تستطيعين السماح لي بمعاشرتك لأنني أذكرك به!

- هذا صحيح... لقد فهمتني.

- اوه... أجل... فهمتك... أنت تظنين أنا متشابهان؟

- كثيراً.

- حسناً... سأراك في الغد، فلا رغبة لدي في أن أكون بديلاً عن أحد. خاصة عن أخي.

وترك الغرفة بهدوء بدون كلمة أخرى.

في الصباح التالي تناولا طعام الإفطار بصمت، وعندما أخذا يحتسيان القهوة أنزل طوني الجريدة التي كان يقرأها ليقول بصوت

حازم:

- لقد قررت العودة إلى كندا بعد غد.

فقطبت ليزا:

- هكذا فجأة يا طوني. هذا لا يعطيني فرصة كافية لتوضيب أغراضنا.

فانحنى ليلتقط لعبة الطفلة البلاستيكية قبل أن يجيب وهو ينظر إليها ببرود:

- قلت التي قررت أنا أن أعود. ترتيبات إقامتنا هي لعدة أسابيع، ولا أرى سبباً يمنعك من البقاء، وحتى لمدة أطول لو شئت.

- وهل تنوي العودة من دوننا؟

- هذا ما أنويه.

ثم انحنى مرة أخرى ليلتقط اللعبة التي رمتها بيتسي ثانية وقال للطفلة:

- سآخذها منك أيتها الشابة إذا لم تتوقفي عن رميها.

كان رد بيتسي أن رمتها على الأرض ثانية، وضحكت بسعادة عندما أعادها إليها ثانية، فابتسمت ليزا للسحر الذي تؤثر به بيتسي على طوني، والذي يلطف قساوة ملامحه وعادت إلى سؤاله:

- ألا تريدنا أن نأتي معك؟

فهز رأسه وقال دون أن ينظر إليها:

- ليس ضرورياً... الأفضل أن تبقي هنا مع بيتسي.

سألته بحدة وقد خطرت لها فكرة:

- هل قلت يوم بعد غد؟

- هذا صحيح.

- هكذا إذن.

فضاقت عينا طوني ونظر إليها متسائلاً:

- وماذا في هذا؟

www.rewayti.net

- لقد فهمت سبب عودتك. ميرا مسافرة في اليوم نفسه، لقد أخبرني ريك، فلماذا تنكر ما بينكما؟ لقد ظننتك رجلاً شريفاً.

- شكراً لك... لم يكن لدي علم بموعد سفر ميرا.

- لا أصدقك.

- بإمكانك تصديق ما أردت. فأنا أعرف ما هو الصحيح.

- ولماذا الإنكار؟ ألا يمكنك الاعتراف؟ ليس لي الحق في الاعتراف... ولهذا فالأمر سيان عندي.

- أنا واثق من هذا. ولكن الأمر غير صحيح. ولن أعترف بشيء لم أفعله، لمجرد ارضائك. وتغطية لذنبك.

- لست مذنبة.

- إذن، من الأفضل لك أن تحمي بذنبك. ألم تدركي كم كنت غبية... كم كنت غبية معي؟ الرجال عادة لا ينظرون إلى كل الأمور بمنطق، فقد تسيطر عليهم المشاعر.

- ولكنني أرى أنك تحافظ على سيطرتك دائماً.

فرد متجهماً:

- ليس معك، ولست خجلاً من الاعتراف. وعندما يحين الوقت وتخرج تلك الأمور عن سيطرتي ستجدين صعوبة كبيرة في منعي من أخذ ما أعتبره حقاً لي.

فشهقت، وقد أدركت أن أكاذيبها التي أطلقتها ليلة أمس ستذهب سدى:

- أنت... لا يمكنك فعل هذا!

ووقف استعداداً للخروج:

- ولكنني سأفعل يا ليزا... فاحذري.

ومرت فترة الصباح على ليزا باسترخاء لذيذ مع الطفلة، محاولة نسيان توترها مع طوني، وخوفها من تهديده لها.

عاد طوني قبل الغداء بوقت قصير، وصعد إلى غرفته ليغير

ملابسه استعداداً للخروج. وما ان انتهى حتى توجه إليها ليسألها:

- هل أنت جاهزة للخروج؟

فوقفت تسوي تنورتها الخضراء بلون بلوزتها:

- أجل... أنا جاهزة.

- إذن... فلنذهب.

بدت فيلا ريك جونز مزدحمة كما بالأمس، وربما أكثر، وليزا لا تعرف أكثرهم، وما أن دخلا حتى تركها طوني ليقف قرب ميرا. وأحست ليزا بالضياع لعدة دقائق.

- كيف حالك اليوم؟

التفتت لترى ريك يقف قربها ويقدم إليها كوباً بارداً من الكولا «التونيك». أخذت منه الشراب شاكرة وقد لاحظت أن طوني ينظر إليهما... فابتسمت لريك:

- أنا بخير.

تفرس ريك في وجهها، وقد لاحظ خطوط التعب حول عينيها:

- ولكن وجهك الجميل يحكي أشياء أخرى، لا تحاولي الكذب علي يا ليزا. فالوجوه هي عملي، وأستطيع عن طريق النظر إليك أن أعرف كم أنت غير سعيدة.

- أحاول أن لا أفكر بالأمر.

- لا يمكنك البقاء معه بسبب طفلتك فقط! سيترك هذا في نفسك جرحاً عميقاً في النهاية، كما أنك لا تقدمين المساعدة لبيتسي إطلاقاً. صدقيني، فأنا أعرف. لأنني نشأت مثل هذه الزيجات: «نبقى معاً لأجل الأولاد»... أمي لم تكن تطيق أبي، وكان يحس نحوها بالمشاعر نفسها، ولكن كان لهما ولدان، أنا وشقيقي، واعتقدا أن عليهما البقاء معاً لاعطائنا الاستقرار.

ضحك بمرارة قبل أن يكمل:

- يا لهذه السخرية! لقد كبرت لأكرههما معاً، وأكره الخلافات

www.rewayti.net

التي كانت تحدث بينهما دائماً، هما يظنان أننا لن نعرف بها. ولكن الأطفال يحسون بهذه الأمور، ومتحس بها بيتي عندما تكبر.

- الأمر ليس هو نفسه...

وابتسم ابتسامة حزينة:

- كل الناس يعتقدون أن حالاتهم مختلفة.

- ولكنها مختلفة حقاً. أترى... نحن لم نحب بعضنا مطلقاً... ولا يمكن للمرارة أن تحدث لنا.

- وهل تزوجتما بسبب بيتي فقط؟

ولم تستطع النظر إليه وهي ترد:

- أجل... لم نتزوج سوى من شهرين.

- أعتقد إذن أن الطفلة وليدة غلطة ارتكبها طوني في أحد لحظات طيشه.

- شيء من هذا القبيل.

فصفر ريك مذهولاً:

- يا لهذه المشكلة!

فابتسمت بتوتر:

- وهذا ما أظنه كذلك.

- ولكن ليس بينه وبين ميرا علاقة.

- وما أدراك!

- لأني سألتها.

- أنت... سألتها؟ وقالت لك، هذا؟

بدت عليها الدهشة، وبدا عليه القلق وهو يجيب:

- لا... ليس هكذا... لقد قلت لها إنني مهتم ببدء علاقة معك وأريد أن أعرف موقف طوني.

فشهقت ليزا:

- لم تفعل هذا!

- بلى فعلته، ونجح الأمر. قالت لي أن انتظر بضعة أيام، فهي لا تزال تعمل على الإيقاع به. حتى أنها تفكر بالاستمرار في الإقامة هنا بعد يوم الأربعاء على أمل أن تفوز به.

إذن، لقد كان طوني يقول الحقيقة عندما قال إنه ليس عائداً إلى كندا ليكون مع ميرا، وبهذا الأمر اساءت الحكم عليه... ربما اساءت الحكم عليه في أشياء أخرى كذلك... وسمعت ريك يقول:

- علينا الدخول الآن لتناول الغداء، هل تجلسين إلى جانبي؟

- لن يعجب طوني هذا.

- اوه... اللعنة على طوني! لو لم يكن زوجك، لتزوجتك في الحال. إنه لا يستحق جمالك.

كما توقعت ليزا امتلأت عينا طوني بالغضب عندما جلست إلى يمين ريك وميرا إلى يساره وإلى جانبها طوني. مرت الوجبة وسط الضحك والمرح... وما أن حان وقت القهوة حتى كان غضب طوني قد بلغ الذروة... وأخيراً سمعت ليزا صوت فنجانه يرتطم بالصحن بقوة، ويوجه كلامه إلى ريك متوتراً:

- أنت تتملق غروري يا ريك لأنك تجد زوجتي فاتنة حتى أنك لم تستطع رفع نظرك عنها... يبدو لي أنك لا تريحها.

ساد الغرفة توتر ثقيل إثر هذا الغضب الخارج عن السيطرة. حدق الجميع إلى طوني غير مصدقين. وأحست ليزا بعينيها مسمرتين على قسمات وجهه القاسية الجافة وهو يحدّق إلى ريك متحدياً.

لكن ريك أظهر عدم الاكتراث، واستمر بالنظر إليها ورد عليه بعفوية:

- أنا أجد زوجتك ليست فاتنة فقط، بل رائعة الجمال... ولكن هذا ليس سبب تحديقي إليها... هناك شيء فيها أجده مألوفاً لدي جداً. شيء حول شكل وجهها، وطريقة رفع رأسها...

وأطلق طوني ابتسامة ساخرة:

www.rewayti.net

- حقاً؟

عاد الحديث للانطلاق بشكل عفوي ثانية، ولكن ليزا أحست أن معظم الموجودين كان يصغون إلى ما يدور بين الرجلين. فقد نظر إليها ريك وقال:

- هاه... أظنها ستكون عارضة من نوع آخر... فألوان بشرتها مختلفة، وفيها شيء لا أشك فيه...

فقالت ميرا:

- أنت تقصد أنجي.

فأشاحت ليزا بوجهها عن نظرة طوني المتفحصة وبدا على ريك الحيرة:

- صحيح؟... أجل هذا صحيح... أنت تشبهين أنجي... أذكر أنها ماتت منذ مدة... وأنت من أخذ مكانها يا ميرا. كيف عرفت أنني أعنيها.

- حسناً... كان يجب أن تكون هي المقصودة... فهي...

فقاطعتها ليزا بسرعة، مع أنها كانت تؤمن أن الوقت قد فات لمنع الحقيقة من البروز:

- ولكننا لا نشبه بعضنا... أنجي كانت شقراء الشعر وزرقاء العينين، لا تشبهني أبداً.

قال ريك بإصرار:

- ولكنها كانت تشبهك ليزا، لا تنسي أنني درست الوجوه ولا زلت أدرسها، من بنية العظام وما إلى ذلك... وجهك قطعاً يشبه وجهها.

بدا على ميرا الضجر من النقاش فقالت:

- هذا شيء أكيد.

فغضب ريك من تدخلها السمج المتكرر:

- توقفي عن الاعتداد السخيف بنفسك ميرا. لما أنت متأكدة

هكذا؟

فضحكت لكلامه واستغرابه:

- لأنهما شقيقتان أيها السخيف، ألم تكن تعرف هذا؟

لم تعد ليزا تستمع إليها، بل أخذت تنظر إلى طوني تراقب ردة فعله... وكان يثبت عينيه عليها أيضاً، عيناه مليئتان بكراهية وازدراء، والغضب باد في كل خط من خطوط وجهه... ولامت نفسها لتركها هذا يحدث... كان يجب أن تعلم أن لقائها بميرا سيورطها في مشاكل، وأن هذه الفتاة ستكشف عاجلاً أم آجلاً، أشياء لم ترد ليزا أن يعرفها طوني.

الكشف عن أن أنجي كانت شقيقتها أمر لم يعد يقبل الجدل، وأصبحت واثقة أن طوني سيطرح اسئلة حتمية عندما يعودان إلى منزلهما، مثل متى ماتت أنجي، ولماذا؟

ولم تكن واثقة كيف ستتمكن من الإجابة.

●●●

www.rewayti.net

٩ ـ لا أحد غيرك!

أخذ طوني يذرع غرفة الجلوس جيئةً وذهاباً، ينظر إلى ليزا من وقت لآخر، وكأنه يحاول حل لغزها. ثم هز رأسه وسألها:

ـ لماذا أخفيت عني مثل هذا الأمر؟

فردت بخشونة:

ـ لست أدري.

وسألها مكفهر الوجه:

ـ لا بد أنك عرفت كيف سأشعر عندما أعرف أنك شقيقة الفتاة التي أحبها أخي وأراد الزواج منها، لماذا تزوجتني يا ليزا؟... لتنتقمي لما فعلته بشقيقتك؟

ـ لا... أنا... ربما فكرت بأن عائلتكم مدينة لنا بشيء. فأنجي ماتت بسبب حبها لأخيك.

ـ أنت حملت بطفل أخي. ألم ترغبي في الانتقام لهذا أيضاً؟

ـ ربما.

بدت القساوة في نظرته وهو يسألها وكأنه يتشفى بتعذيبها:

ـ أخبريني ما كان شعورك وقد عرفت أنك حامل بطفل الرجل الذي تحبه أختك؟

فوقفت لترد:

ـ أرجوك طوني... قد يدخل أحد علينا، وستيقظ بيتسي قريباً من قيلولتها... ويجب أن أذهب إليها.

وقال ساخراً:

ـ مثل كل أم مخلصة محبة. بإمكانها الانتظار لبضع دقائق... هذا الحديث لم ينته بعد. ولدي بضع أشياء أخرى اسألك عنها كانت تحيرني.

ـ يجب أن أذهب طوني.

ـ ستجلسين هنا وتجيبين على اسئلتي! كيف كان شعور شقيقتك بالنسبة للطفل؟ هل كانت على علم أنه طفل لوسيان؟

أجابته بفتور وهي تحس أن عالمها كله بدأ يتهاوى:

ـ أجل... كانت تعلم.

ـ وهل أخبرتها الحقيقة بالرغم من معرفتك أنها تحبه؟

ـ لم أكن بحاجة لأن أخبرها.

فصاح غاضباً:

ـ لا... أنا واثق من هذا... كيف تمكنت من فعل هذا، كيف تركتها تتعذب وتعاني الاذلال لرؤيتك تحملين بطفل حبيبها؟

ـ لم أفعل هذا!... لقد أحببت أنجي كثيراً... وما كنت لأؤلمها أبداً.

فتنهدت:

ـ بدأت أصدق أنك لم تريدي إيلامها... ولكنك تتمتعين بإيلامي... أليس كذلك؟ ليلة أمس...

فقاطعته بحدة:

ـ أريد نسيان ليلة أمس. لقد انتهت وانتهى ما مر بها.

فهز كتفيه:

ـ إنها لم تنته بعد. شيء قلته لي ليلة أمس يزعجني. قلت إنك لا تطيقين أن أكون البديل عن أخي... لأن قسماتي الداكنة تذكرك به... هه؟

تمتمت، خائفة من رفع نظرها إليه كي لا يقرأ الاشتياق إليه في

www.rewayti.net

عينيها:

ـ نعم.

وسحب نفساً عميقاً... وقال:

ـ هكذا إذن... أرجوك انتظري هنا ليزا... لدي شيء أريك إياه!

ـ ولكن يجب أن أنقذ الطفلة.

ـ بل ستنتظرين هنا.

كان هذا أمر. وعاد بعد لحظات، يحمل صورة وضعها أمام وجهها. ومدت ليزا يدها تتحسس الصورة كأن سكيناً يمزق قلبها... كانت الصورة لأنجي مع رجل شاب، يبتسمان بسعادة، وأنجي تنظر إليه بشغف. ونظرت إلى طوني:

ـ ماذا تريدني أن أقول.

ـ هذه شقيقتك، أليس كذلك؟

ـ نعم.

ـ ومن الرجل الشاب الذي معها؟

ـ كيف لي أن أعرف؟

كانا شاباً طويلاً أشقر الشعر، بني العينين، يبتسم، وكأنهما يتشاركان الضحك على نكتة ما... ووضعت الصورة من يدها:

ـ لا تقل لي إنك وضعت أنجي تحت المراقبة، في محاولة للحصول على دليل ضدها لتشويه اسمها في نظر أخيك؟

ـ لا لم أفعل هذا... فأخي كان يهيم حباً بأختك... إذن أنت لا تعرفين هذا الرجل؟

ـ وهل هذا مهم؟ بالتأكيد لن يهتم لوسيان وقد مات الآن؟

ـ ولكنه مهم لي.

ـ إذن، أنت لا تزال تفتش عن فرائع لكراهية أنجي، مع أنها لم تعد قادرة على إيذائك.

ـ لا... أنا لا أحاول فعل هذا... أترين أنك كذبت علي بأن أنجي هي شقيقتك...

ـ أنا لم أكذب، كانت لي أعز صديقة كذلك!

ـ هذه نقطة ثانوية... كان بإمكانك إخباري بالقرابة، ولكنك اخترت أن لا تفعلي. فسألت نفسي لماذا. ثم بدأت أدرك بأنك لو كذبت علي في شيء واحد، فبإمكانك الكذب في أشياء أخرى... ليلة أمس قلت إنني أذكرك بلوسيان. وأعترف أنني احترت. ولكنني لم أكن في مزاج يسمح لي بسبر غور ما يقوم به عقل امرأة. ولكنني اليوم فكرت بالأمر ولقد أكدت لشوك ظنوني. أنت لم تلتق أبداً شقيقي... أليس كذلك؟

ـ كيف تقول هذا، وبيشي...

ـ من المفهوم أنها طفلة لوسيان. ولكنها بكل تأكيد ليست طفلتك. أترين... الرجل الذي في الصورة هو أخي لوسيان... وأنت لم تتعرفي عليه!

شحب وجه ليزا، فانتزعت الصورة من يده لتحدق في الوجهين الضاحكين... هذا ليس لوسيان كوردوفا! كيف يمكن أن يكون له هذا الشعر الأشقر الصاعق، وهاتين العينين البيتين الضاحكتين؟ لاحظت أن هناك تشابهاً في قسمات الوجه لدى طوني وأخيه... وتعجرف مماثل ومؤكد في وقفتهما... فتهدت بذهول:

ـ اوه... يا إلهي!

ـ إذن، فالطفلة إذا لم تكن لك، فهي لأنجي بدون شك.

ـ أجل.

ـ وإذا كانت أنجي قد ماتت منذ سنة فمن المنطق الاعتقاد أنها ماتت فور ولادتها لبيتسي.

ـ بعد ساعتين.

وجاء دوره في الشحوب:

www.rewayti.net

- يا إلهي... كم كرهتني لما فعلته بهما! وما فعلته بك... لو كنت أعلم هذه الحقائق لما تزوجنا، وما كان عليك تحمل إهاناتي.

- أكنت ستأخذ بيتسي مني؟

- الأمر المناسب الوحيد هو أن تبقى معي.

- إذن أنت تعرف لماذا بقيت صامتة؟ لم أكن أقصد خداعك، ولكن تصرفاتك عندما التقينا كانت تشير أنك تنوي أخذها مني لو أنك عرفت أنني خالتها... وما كان باستطاعتي السماح لهذا بأن يحدث.

- لا أستطيع فهم رغبتك في التخلي عن حياتك في سبيل طفلة كنت سأسمح لك بكل سعادة أن تصلي إليها ساعة تشائين... فأنت خالتها... ولك كل الحق في رؤيتها.

فتنهدت ليزا:

- لن تفهمني... أليس كذلك يا طوني؟ فالمرأة لا تصبح إماً للطفل لمجرد أنها ولدته. فبعض النساء يرفضن أولادهن في هذه المرحلة. ولكن الطبيعة عوضت عن ذلك بتمكين نساء أخريات أن يحببن طفلاً ليس لهن، كما أحب أنا بيتسي. ولا يجب أن أكون أمها الحقيقية لأشعر بالفرح حين تنطق كلماتها الأولى، وبالعذاب حين تنبت أسنانها.

فتنهد:

- كنت مخطئاً في حرمان لوسيان من الحب الذي كان بحاجة إليه من أنجي، مخطئ، في أن أتدخل أصلاً.

- ولكنها لم تلق اللوم على أحد يا طوني.

- أنا واثق من هذا... يبدو أنها كانت فتاة جميلة وبأخلاق جميلة.

- أجل... هكذا كانت.

- وأنت تعتبرني مسؤولاً عن موتهما.

- هذا غير صحيح. لقد سمحت للوسيان أن يعود إليها، ولا

يمكن أن تكون مسؤولاً عن الحادث الذي حصل بعد هذا.

- ربما... لقد قيل لي إن السائق الآخر كان يسير في الاتجاه الخطأ، ولم يقتل... بل قتل أخي!

فقالت له بحزم، مواسية:

- لقد انتهى الأمر الآن يا طوني... فالماضي لا يمكن تغييره.

- هذا صحيح... ولكننا الآن نواجه مستقبلنا... فماذا سيحدث؟ اتساءل؟

وتحاشت النظر إلى عينيه:

- لا أفهم ماذا تعني؟

- أنت تعرفين جيداً ما أعنيه... أنا مرتبك، مشوش الأفكار تماماً. لقد كونت رأيي بك، وأنت أنني أعرف نوعيتك بين النساء... ولكني الآن لم أعد واثقاً... يجب أن أعيد التفكير بكل الأمر من جديد.

سألته السؤال الذي كان يشغل بالها:

- وماذا سيحدث لنا؟

ما اكتشفه اليوم غير كل قواعد زواجهما، فهو كان مبني على ما كان يعتقده عنها. وهذا كله قد تبعثر الآن. وقال:

- لست أدري ماذا سيحدث. هذا ما يجب أن أفكر به... سأعود فيما بعد.

وتركها فجأة... وأحست بالفراغ. عالمها كله أخذ يتهدم من حولها. لقد تصرف عكس ما توقعته منه. صحيح أنه غاضب، إلا أنه لم يصب جام غضبه على رأسها كما توقعت.

لازمت بيتسي بعد استيقاظها، ولكن سيرينا أقبلت وأخبرتها أن ريك ينتظرها في الطابق الأرضي، وهكذا سوت شعرها وجددت مكياجها قبل أن تنزل لتقابله.

وتقدم منها ليقبلها على خدها:

www.rewayti.net

- مرحباً يا جميلتي.

ارتجفت ليزا، لو عاد طوني ووجده هنا... وسألته بأدب:

- هل... هل ترغب في شيء تشربه؟

فهز رأسه وهو يتفحصها:

- ليس الآن... شكراً لك. ولكن يمكنك دعوتي إلى العشاء.

وبدا عليها الارتباك:

- اوه... ولكن...

فقاطعها:

- لا تقلقي بشأن طوني... لقد وصل إلى منزلي لحظة غادرته... وأقنعته ميرا بالبقاء على العشاء.

- اوه... في هذه الحالة هل تود أن تبقى؟

- أنت تعرفين أنني أرغب في البقاء... أريد الحديث معك. ربما لأعتذر عن المشاكل التي أوقعتك بها... هل تكدر طوني كثيراً عند عودتكما؟

وجلس على مقعد قبالتها، فأجابته:

- لماذا تعتقد أنه تكدر؟

- لست أعتقد، بل أنا متأكد. توقعت أن تظهر عليك الكدمات هذا المساء. في الواقع كان يبدو عليه الغضب الشديد في منزلي.

- لا أصدق إنه لا يستطيع السيطرة على نفسه! أعتقد أنك أتيت لتسليتي!

- تقريباً.

ولم تستطع ليزا أن تغضب إزاء هذه البسمة الودودة. فقالت:

- حسناً... لطف منك التفكير بي. هل أنت واثق أنه سيتأخر في العودة؟

- وما رأيك؟

فتنهدت:

- أظنك على حق. أظنه يحاول نسيان وجودي... فلا بأس بهذا... بماذا أردت أن تحدثني؟

- أردت معرفة ما إذا كنت قد غيرت رأيك في أمر الرجوع إلى العمل؟

فأجابت:

- لقد قلت لك... طوني لن يسمح لي.

- اوه... اللعنة على طوني! لو لم يكن موجوداً، هل ستعودين؟ لدي أعمال لك على الفور لو أعدت النظر... فهل ترغبين فيها؟

- لا استطيع الاجابة في الوقت الحاضر... لقد تركت مهنتي لأعتني ببيتي... والآن أنا مشوشة الفكر تماماً... أحبها، ولكن يبدو أنها لم تعد تحتاج إليّ.

- أنت لست أمها فقط... بل زوجة طوني كذلك... ولكن هل هذا حقيقي؟ قلت لك إن عملي يتطلب درس الوجوه. ووجهك يكشف الكثير. أنا لا أصدق أنك زوجة طوني... ولا أم الفتاة.

فحاولت الضحك:

- لا تكن سخيفاً، بالطبع أنا زوجة طوني.

- لم أقل هذا... قلت إنك قد تكونين متزوجة بطوني، ولكنك لست زوجته، بما تعنيه الكلمة.

فشهقت:

- كيف يمكنك قول هذا! بيتي...

فقاطعها بحزم:

- ليست ابنتك... عينا المرأة الأم تكونان عادة معبرتان، أما عيناك فبريئتان... أنت لم تكوني من قبل ملكاً لرجل... وبالتالي لست أماً لطفلة.

وحاولت التظاهر بالغضب:

- لا تكن سخيفاً يا ريك! أظنك قد فقدت عقلك... لست أدري

www.rewayti.net

من أين حصلت على هذه الأفكار، ولكنها ليست...

فقاطعها:

- إنها الحقيقة. لقد اندهش طوني، كما اندهشت عندما علمت أن أنجي كانت أختك. فحاول اخفاء دهشته، وبعدما غادرتما منزلي، قمت ببعض التحريات.

فسخرت منه قائلة:

- وتوصلت إلى معلومات!!

وهكذا تأكد لليزا أن هذا اليوم هو كارثة لها تماماً... أولاً طوني... اكتشف سرها وها هو ريك الآن... فماذا يخبىء لها ما تبقى من النهار؟

وقال لها ريك مقاطعاً أفكارها:

- بل توصلت إلى الحقيقة.

دخلت سيرينا لتعلن جهوز العشاء... الجلوس إلى المائدة وتقديم الطعام لهما، أعطى ليزا الوقت لتجمع شتات أفكارها... ولكن الكثير قد حدث اليوم حتى لم يبق شيء منطقياً. وأحست بالضياع وأنها أصبحت بدون دفاعات. وانكبت بدون هدف، على طعامها.

ابتسمت لسيرينا شاكرة وهي تقدم لهما القهوة في غرفة الجلوس، الأبواب الزجاجية المزدوجة كانت تنفتح لجهة البحر... وأحست بالراحة وهي ترى أمواج البحر تلامس الرمال بنعومة، وبدأت تسترخي. ريك صديق... ولن يدينها لتصرفاتها. وسمعته يسأل:

- هل أنت أفضل حالاً؟

- أفضل بكثير... شكراً.

- هل كانت تحرياتي صحيحة؟

- هذا يتوقف على ما توصلت إليه.

- لقد توصلت إلى أن أنجي هي والدة بيتسي وأن شقيق طوني،

توسيان هو والدها... وبطريقة ما تمكنت من إقناع طوني العكس، وأنك أنت الوالدة وأظنني أفهم سبب هذا... وأظنه قد اكتشف الحقيقة. لا بد أنها كانت صدمة له.

ولم تجد جدوى من التمادي بالانكار... لا بد أنها سيئة في الادعاء أكثر مما تدرك. فأجابته:

- لم تصبه صدمة قوية كما توقعت... فمن الواضح أنني قمت بهفوات جعلته يرتاب... ولكنني لا أعتقد أنه أدرك مدى خداعي له.

- إذن... فماذا ستفعلان الآن؟

- لست أدري... فكل شيء مرتبط بقراره، بما أنه عرف الحقيقة الآن فلا أظنه سيسمح لي بالبقاء.

- وماذا سيكون شعورك إزاء هذا؟

كيف يمكن أن تشعر! كيف يمكن أن تشعر وقد افترقت عن بيتسي! ومع أنها تعرف كم يحبها طوني ويرعاها، وأنه سيسمح لها بزيارتها متى شاءت إلا أن الطفلة لم تكن اهتمامها الوحيد. فالافتراق عن طوني هو ما سيكون الأقسى على التحمل... سيلتقيان كالغرباء، لا يربطهما سوى وجود بيتسي!

وقال ريك بصوت منخفض:

- لا تجيبي على هذا السؤال... لقد شاهدت على وجهك ما قد تشعرين به. ولكن لو حصل هذا، فماذا ستفعلين أنت؟

فردت بصدق:

- لست أدري. أحصل على وظيفة، كما أعتقد. أحاول بناء حياة جديدة لنفسي.

- اسمعي ليزا. أنا لا زلت راغباً في تنفيذ مشروع التصوير لك. أنت الشخص الوحيد الذي يمكن لي أن أستخدمه للمشروع. وإذا كنت قلقة حول مكان للاقامة فبإمكانك السكن عندي إلى أن تجدي لنفسك سكناً خاصاً.

www.rewayti.net

صاح صوت أجش عميق:

ـ زوجتي لن تسكن مع أحد.

واستدارا ليواجها طوني. كان يقف داخل الأبواب الزجاجية، من حيث دخل دون أن يلحظاه، وكان على قسماته الخشنة السمراء لمعان أحمر من الغضب. وتقدم داخل الغرفة وابتسامة ساخرة على وجهه. وأخذت عيناه تتنقلان بينهما بشكل مهين.

وتسمرت ليزا مكانها... لم يكن يبدو مثل طوني الذي تركها منذ ساعتين. كان على قسماته نوع من اللامبالاة بقواعد الأدب، وشعره مشعث، وقميصه الأبيض مفتوح حتى وسطه. وبدا... بدا كأنه الشيطان!

ووقفت مضطربة:

ـ طوني!

فنظر إليها:

ـ نعم... طوني! وأشك، مما سمعته من حديثكما، أنكما كنتما تتوقعان عودتي. وربما كنتما تأملان أن لا تزعجا بوجودي.

احمرّ وجه ريك غضباً للهجة طوني المستهزئة، وأحس بعدم الراحة وهو جالس... فوقف ببطء وقال:

ـ ليست الأمور كما بدت لك طوني.

فرد عليه من بين أسنانه:

ـ أنا واثق أنها كما بدت لي تماماً.

ـ انظر الآن كوردوفا...

فصاح طوني بوحشية، وتقدم نحوه مهدداً:

ـ لا... بل انظر أنت... أرغب في البقاء لوحدي مع زوجتي... أما أنت فبكل لطف يمكنك ترك منزلي لو سمحت.

ـ ولكني...

ـ ستغادر الآن لوحدك وأنت قادر على هذا. لقد طلبت منك بكل

أدب حتى الآن. ولكنني في المرة القادمة قد لا أزعج نفسي في الطلب. هل فهمت؟

فنظر ريك إلى ليزا متسائلاً... فرفعت شعرها إلى الوراء وقالت:

ـ ربما يكون هذا أفضل يا ريك.

ـ لقد سمعت ما قالته زوجتي جونز... فارحل.

واستمر ريك ينظر إليها بقلق:

ـ هل أنت واثقة؟

فردت بسرعة لدى ملاحظتها أن نظرة طوني قد أصبحت سوداء خطرة.

ـ أنا واثقة.

قال طوني ساخراً بعد خروج ريك:

ـ إذن... ليس لديك أي مشكل في إيجاد صاحب... أليس كذلك؟ أغيب لبضع ساعات، فتدعين حبيبك إلى هنا... ولسوء حظك لاحظت غيابه.

ـ حقاً؟ أنا مندهشة أنك لاحظت أي شيء، في الحالة التي أنت بها.

ـ ماذا تعنين؟

ـ أعني أنك لست في وعيك!

فضحك بخشونة:

ـ أنا في كامل وعيي... ويلزمني الكثير لأخرج عن اتزاني.

ـ كدت تخدعني بمظهرك! وريك ليس حبيبي... كان يواسيني كصديق.

ـ أوه صحيح؟ وهل يدعوك كل اصدقائك للسكن معهم؟

ـ لم يكن القصد هكذا، وأنت تعلم.

ـ أعلم شيئاً واحداً... لن أتحملك أكثر. لقد وصلت إلى نهاية

www.rewayti.net

صبري، بالنسبة لك.

ـ وماذا تنوي أن تفعل؟

فابتسم ابتسامة مخيفة:

ـ من حقك أن تسألي... قد تتمتعين بما ينتظرك في الساعات القادمة! ولكن لم يعد من المهم أن تستمتعي... لقد ذهبت اليوم لأقابل ميرا تريستال لأقبل عرضها في مشاركتها الفراش.

وشهقت بحزن، فابتسم بقساوة أكثر، وتابع:

ـ ولماذا هذه الصدمة؟ أليس هذا ما ظننته بي دوماً؟

ـ أجل ولكن...

ـ حسناً... اليوم كان سيكون أول يوم أطارح فيه امرأة الغرام منذ يوم زواجنا. وكان يمكن أن يحصل هذا... لولا أنني شاهدت وجهك طوال الوقت في رأسي.

وصفق الباب الزجاجي بقوة حتى كاد ينكسر، وقال وهو يعض شفته:

ـ لم استطع أن أحس شيئاً معها... لا شيء أبداً!

ـ فهمت!

ـ لا أظنك فهمت... لقد جعلت من المستحيل عليّ الشعور بامرأة أخرى... إذن ستكونين أنت من يشفي غليلي.

تراجعت ليزا خطوة إلى الوراء، وهزت رأسها بيأس:

ـ لا!

ـ آه... بلى... لن أقبل أن ترفضي بعد الآن... حجتك بأن بيتسي هي ابنتك قد زالت... ولا أعذار أخرى لك كي تمنعيني مما حصل عليه العديد من الرجال قبلي.

ـ لا... طوني... لا يمكن أن تتوقع مني...

وضاقت عيناه واشتد فمه صلابة ثم قال ببطء وهدوء:

ـ أتوقع منك الذهاب إلى غرفتك... وانتظاري هناك!

فشحب وجهها:

ـ لا أستطيع يا طوني!

ـ ستفعلين ما أقوله لك! فأنا أنوي امتلاكك ولو اضطررت لمحاربتك من أجل هذا... لن تعذبيني بعد الآن. اذهبي إلى غرفتك... وسأصعد إليك بعد عشر دقائق.

نظرت إليه نظرة توسل أخيرة، ثم استدارت لتصعد إلى غرفتها... طوني لن تؤثر عليه العواطف، فلقد تجاوز هذا. لقد قرّ رأيه على أمر ما، ولن يردعه شيء.

صاح بها:

ـ ليزا... لا تتصوري أنك ستتمكنين من التسلل هاربة مني... فإذا خرجت سألحق بك وأعيدك. مهما كان المكان الذي ستذهبين إليه. فأنا أنوي تحرير نفسي من هذه الرغبة التي تجتاح كياني إلى الأبد... عشر دقائق يا ليزا!...

●●●

www.rewayti.net

١٠ ـ إلى أين الرحيل؟

جلست ليزا فوق السرير، والدموع تهز جسدها الجميل... ما كانت تتوقع أسوأ مما حصل اليوم! طوني ينوي امتلاكها بدون أي تفكير بمشاعرها، بدون الاهتمام فيما إذا كانت تريده أم لا.

ولكنه بالطبع يعرف أنها تريده... لقد فضحت رغبتها فيه في كل مرة كان يقترب منها... صحيح... أنها تريده، وهو يعرف هذا. ويعرف كذلك أن لا خيار لها سوى الإذعان.

حسناً... لن يجدها مستلقية موهنة العزيمة في الفراش تنتظره ليأتي إليها. إذا كانت الليلة ستكون ليلة زفافها فستبدو تماماً في هذا الدور.

ووجدت لنفسها غلالة نوم بيضاء صافية، وضعتها على السرير ثم دخلت لتستحم... وغسلت نفسها بعناية. وعادت إلى غرفة نومها، فارتدت غلالة النوم ومشطت شعرها. رشة من العطر، واطفأت نور الغرفة ولم تُبقِ سوى على المصباح الصغير قرب السرير... عندها أحست أنها جاهزة لاستقبال زوجها.

لم تنتظر طويلاً... دقائق ودخل بدون استئذان إلى الغرفة. ضاقت عيناه وهو يدخل الغرفة المعتمة قليلاً، ويلاحظ جسدها الملفوف بغلالة النوم الشفافة... اهتزت ثقة ليزا بنفسها تحت تلك النظرة الساخرة... وقال بصوت منخفض

ـ إذن، لقد قررت لعب دور العذراء معي.

وأجفلت لصوته الساخر لكنها ردت بصوت ناعم:

ـ إذا كنت تعني أنني قررت أن لا أقاوم، فأنت محق، فما الفائدة؟

خلع روبه ببطء ليكشف عن بطلون بيجامته الحريرية.

ـ هل يعني أنك لن تقاومني!

ـ ليس لدي خيار آخر.

ـ لا... ليس لديك خيار آخر. فاخلعي هذا الثوب السخيف وادخلي الفراش... هل توقعت أن أكون متحفظاً معك وأنت في ثوب العذارى الأبيض؟ ما هذه السخرية! ليس من حقك ارتداء لون الطهارة هذا! لا حق أبداً.

فاحمرّ وجهها:

ـ لي حق العروس ليلة زفافها!

فضحك تلك الضحكة الخشنة الساخرة:

ـ ليس لك الحق. هيا إلى الفراش!

أحست بشجاعتها وقد بدأت تخذلها للقساوة في صوته، فتوسلت إليه وعيناها الخضراوان تترقرقان بالدمع:

ـ لا أستطيع يا طوني، ليس هكذا. أرجوك!

ـ سأخلك بالطريقة التي أختارها ولن أدعك تستمتعين بالأمر. اخلعي عنك ثوبك؟

جلس على الكرسي وعيناه تكادان تغادران وجهه. فأحست بوجهها يكاد يحترق تحت نظراته الوقحة... وعادت تقول:

ـ لن أستطيع ذلك وأنت تحدق إليّ.

ـ لا بأس عليك، ليس لدي أية نية في الالتفات إلى الناحية الأخرى.

وجذبت الغلالة فوق رأسها، وسيح جسدها في ضوء المصباح الشاحب الذهبي... وتمتمت:

www.rewayti.net

- هل رضيت الآن؟

- لا... ليس قبل أن أحصل على ما أريد. لن أرضى قبل أن تدخلي الفراش وأمتلكك.

وقف، فأسرعت تختفي تحت الغطاء. وقد أشاحت بوجهها عن جسده القوي الجميل.

ثم قالت بصوت متهدّج باكٍ:

- يا إلهي... طوني! هل يجب أن يكون الأمر كالعقاب؟

- أنت لا تنتظرين مني معاملتك بحب أو كما يعامل الزوج زوجته المحترمة.

فحركت رأسها من جانب إلى آخر.

- لا... ولكنني...

- اصمتي! قبل أن أنتهي منك... ستقولين أشياء مختلفة.

وجلبها إليه بوحشية ليضمها بين ذراعيه بحيث أصبح جسداهما متشابكين معاً، وأجبرها على الاستجابة.

خلال دقائق أحست بدوار، وكأنها في حلم، ولم تعد تستطيع منع نفسها من التأوه. إنه الرجل الوحيد الذي لمسها هكذا، وجدت هذا محرجاً، وكانت رغبته فيها واضحة. مع كل حركة أحست بتوتر يتصاعد في داخلها، إحساس بالتوتر يحاجة لأن ينطلق، مع استمراره بمداعباته المدمرة لأعصابها.

ولم تعد تسيطر على نفسها، كانت كمن تسبح فوق غيمة عالية، ولانت حركاته وما هي إلا لحظات حتى تراجع عنها شاحب الوجه:

- يا إلهي... لا يمكن... هذا غير صحيح!

تحرك مبتعداً عنها، وجهه بلون بياض الأموات... وقال مشوش التفكير:

- أنت لا زلت... لم يلمسك رجل.

فسألته بصوت خفيض:

- هل هذا مهم لك؟

وكره عليها، انتزع نفسه من ذراعيها، ووقف، مترنحاً قليلاً من ذهوله، ومرر أصابعه في شعره الأشعث، ينظر إليها بعينين معذبتين وقد ستر جسدها بملاءة السرير:

- أنا لم أنتهك من قبل جسد فتاة طاهرة!

وأحست بالرغبة في الضحك على تعبير وجهه المتجهم... فقالت له بخفة:

- عد إلى الفراش يا زوجي العزيز... ستكلم في الصباح حول الأمر.

وقال بعنف مكبوت:

- بكل تأكيد يجب أن نتكلم... وبالتأكيد سترغبين في العودة إلى كنا في الحال... أفهم هذا.

- صحيح؟

- طبعاً... فأنا... أنا... آه يا إلهي! أنا آسف جداً! لماذا لم تخبريني الحقيقة؟

- وهل كانت الحقيقة ستغير الأمور؟ ما كنت ستصدقني.

- لا... هذا صحيح، ما كنت سأصدقك... وليس هناك وسيلة لإصلاح ما فعلته بك... ما من طريقة إطلاقاً، ولكنني سأحاول، سأحاول جاهداً التعويض عليك.

- كيف؟

- سأعطيك أي شيء تريدينه. سأشتري لك منزلاً في أي مكان تريدين العيش فيه. وسأدفع لك مصروفاً مرتفعاً.

وبدا أنه مستعد لأن يعطيها كل شيء ما عدا الشيء الذي تريده حقاً... وهو أن تبقى معه:

- هل تريدني أن أذهب؟

- يجب أن تدركي أن من المستحيل أن نعيش معاً كما كنا... لن

www.rewayti.net

ينجح الأمر بعد الآن.

لكن ليزا لم تكن تدرك شيئاً من هذا، ما عدا أنه لا يريدها بعد في حياته. ولا يمكن أن يكون قد أحس بما أحست به لتوها معه. بالنسبة له كان ما حدث أنه انتهك جسد فتاة طاهرة. وليس تلك التجربة الجميلة التي تعتبرها هي بين زوج وزوجته. وقالت له بهدوء:

- ولماذا لن ينجح؟

- لأنني لم أعد أطيق وجودك بقربي!

ولم يكن ينظر إليها وقد بدت الهزيمة على وجهها:

- حسناً... سأخرج من حياتك في أسرع وقت ممكن.

- لا داع للعجلة... يجب أن نتحدث في الصباح، لا أستطيع التفكير السويّ الآن. حاولي أن تستريحي، ربما يطمس النوم ذكرى ما فعلته بك.

- طوني... أنا...

وفتح الباب:

- أرجوك، لا تقولي أي شيء آخر. يجب أن تنام وتفكر بالأمر. ولنرى كيف سيكون تصورنا في الصباح... أنا لم أعرف أي شخص مثلك من قبل استطاع أن يرميني إلى عذاب الارتباك.

وابتسم ابتسامة تجهم. فامتلأت عيناها بالدموع:

- لا... يا طوني.

فاستدار إليها:

- ليزا... أنا آسف!

فهزت رأسها:

- أرجوك... لا تعتذر...

- معك حق... فما فعلته لا يمحوه الاعتذار.

وأقفل الباب بهدوء وراءه، فيما دفنت ليزا رأسها في

الوسادة... إنها لا تريد محو الذكرى، بل تريد الاستمرار في التذكر. لماذا لم يشعر طوني بنفس السعادة التي أحست بها؟ مع ذلك فلم تكن تريد أن يحبها عندما يحس بالمزاج للحب. وإذا لم تستطع أن تصبح المرأة الوحيدة في حياته، فلن ترغب في أن تكون شيئاً في حياته... يجب أن ترحل الآن... أن تركب الطائرة وتعود قبل أن يعلم بذلك.

الساعة الآن لم تتجاوز العاشرة بعد، الوقت مبكر، واتصال سريع إلى المطار أكد لها وجود مقعد لها على طائرة الساعة الواحدة المتجهة إلى كندا... هكذا أفضل... يجب أن تبعد نفسها عنه... تبعد نفسها عن الاغراء في أن ترتمي بين يديه.

المشكلة الآن هي كيف ستنتقل إلى المدينة لتصل إلى المطار... الساعة العاشرة والنصف الآن. وربك لم ينم بعد، ولا بد أنه سيساعدها.

مع انه استغرب أن تطلب منه ملاقاتها بعد عشر دقائق خارج الفيلا، إلا أنه لم يطرح أي سؤال على الهاتف. ولكنه رفع حاجبيه بدهشة لرؤية حقيبة ملابسها، وضعها بصمت في الصندوق. وأدار محرك السيارة وانطلق بها وهو يسأل:

- إلى المطار؟

- إذا كنت لا تمانع.

فابتسم:

- لا أمانع أبداً... فأنا أشعر بالسعادة لأنك لجأت إليّ للمساعدة.

وردت صادقة:

- ليس لي أحد غيرك.

- أفهم هذا... لديك تلك النظرة في عينيك الآن.

- لا أدري ماذا تعني؟

www.rewayti.net

- بلى... تعرفين... ألهذا تريدين الرحيل؟
- أجل... فما فائدة النقاش معه؟
- كانت هذه غلطتي... أليس كذلك؟ غضب عندما وجدنا معاً!
- كان غاضباً... أجل. ولكن هذا ليس سبباً... ليس سبب ما حصل.
- ولكن الطفلة... كيف تشعرين وأنت تتركينها؟
- كيف تظن أنني أشعر؟
اختنقت بالكلمات، وبدأت الدموع تنهمر. ووضع ريك يده على ذراعها مواسياً:
- أنا آسف لزا. لا بد أنك معذبة كمن في الجحيم.
- أجل.
وأوقف ريك السيارة إلى جانب الطريق، واطفأ المحرك.
- هل أنت واثقة أنك تفعلين ما هو صواب؟
فتنهدت:
- وماذا بإمكاني أن أفعل غير هذا؟
- تحاولين البقاء، والقتال لأجل ما تريدين.
- لم أعد أعرف ما أريد. ليس بعد الليلة...
وتلاشى صوتها وراء بؤسها.
- يجب أن تعرفي أن الليلة قد أعطتك الكثير من المعاني.
- مثل ماذا؟
- مثلا ان طوني يجدك جذابة، وأنه يرغب فيك. ألا يكفي هذا للاستمرار.
فهزت رأسها:
- لا يكفي.
- تريدين أن يحبك كذلك... هه؟
ورفعت رأسها بحدة لتنظر إليه في الظلام:

- لماذا تقول هذا؟
- لأن كل هذه الدموع ليست للطفلة فقط. فأنت تحبين طوني... أليس كذلك؟
- لا فائدة من الإنكار... أجل... أنا أحبه. ولكنه لا يحبني
- وكيف تعرفين هذا؟
فضحكت بخشونة:
- الأمر واضح، كما أعتقد ألا يخبرك هذا معرفتك بالوجوه لمجرد نظرك إليه؟
- وجهه ليس سهلاً على القراءة... إنه صعب. ولكنني أستطيع القول انه يشعر بالتملك لك أكثر من أية امرأة أخرى... فأنت تحيرينه. رأيته ينظر إليك وكأنه لا يستطيع اتخاذ قرار حولك
- كان هذا من قبل... ولكنه الآن يعرف كل شيء.
بل يعرف أكثر مما كان يتصور!
- ربما... ولكنني أظن أنه ذلك النوع من الرجال الذي يحب لمرة واحدة في حياته، وعندما يحب سيكون حبه إلى الأبد!
فتنهدت:
- ربما... ولكن لن تكون أنا من سيحبها.
- يمكن أن تكوني مخطئة...
وصمت ليلتفت إلى النافذة الخلفية ثم يتابع:
- في الواقع إنني متأكد الآن أنك مخطئة. لقد توقفت سيارة خلفنا وأعتقد أنه طوني.
- طوني! ولكن...
واستدارت بدورها... في الوقت الذي انفتح فيه بابها، لترفع نظرها وتحدق إلى وجه زوجها الغاضب يدخل السيارة. وقال بغضب:
- يبدو أنني مضطر للمرة الثانية أن أطلب منك ترك زوجتي

www.rewayti.net

وشأنها.

فقالت:

ـ طوني الأمر ليس كما تتصور.

فرد عليها باختصار:

ـ بإمكانك الانتظار لتصل إلى المنزل فتشرحي الموقف... أرجوك اخرجي واستقلي سيارتنا.

ـ طوني أرجوك دعني أشرح لك.

وجرها لتخرج من سيارة ريك:

ـ لن تشرحي شيئاً... اذهبي وانتظري في السيارة.

فنظرت إلى ريك وهي تهز كتفيها:

ـ آسفة على هذا.

فقال لها ناصحاً بلطف:

ـ افعلي كما يقوله لك. فهذا أفضل.

بعد لحظات انضم إليها طوني ليضع حقائبها في صندوق سيارته، وكانت تعابير وجهه أقل تجهماً.

ـ هل كنت فظاً معه؟

ـ لم أفعل شيئاً سوى أن أقول لصديقك انني لن أسمح لك بعد الآن أن تنفردي برجل سواي...

فرفعت رأسها:

ـ كنت راحلة يا طوني. وإعادتي لن تغير شيئاً... سأحصل على حجز على طائرة أخرى في الغد.

ـ لن تستطيعي الهرب مني لا في الغد ولا في أي وقت آخر. لن أسمح لك بهذا!

ـ ألا تظن أن من الأفضل تركي أرحل؟ لماذا تطيل عذابنا؟

ـ عذاب؟ نعم... صحيح هذا ما كنت أعانيه في الساعة الأخيرة. خاصة عندما عدت إلى غرفتك ولم أجدك.

ـ ولكنني لم الاحظ أنك خرجت.

ـ خرجت لأسير على الشاطئ، كي أجلو ما في رأسي من أفكار... وأردت أن أفكر بوضوح.

أوقف السيارة خارج الفيلا ونزل منها ليستدير ويفتح لها الباب، ووقفت ليصبح جسدها قريب من جسده، فأحست كم هي منجذبة إليه... ولكنها أعرضت عنه، ودخلت الفيلا.

استدارت لتواجهه بعد أن دخلا غرفة الجلوس، تحس بهزيمتها أمام جاذبيته... يا إلهي كم تحبه!

ـ ما الفائدة من إعادتي إلى هنا؟ فهذا يعني أنني مضطرة للوداع مرة أخرى.

ـ ولكنك لم تودعيني في المرة الأولى!

ـ لم أجد حاجة لهذا... لقد قلت لي بأنك ستبعدني عنك.

ـ ولكن ليس هكذا! أن تتسللي في الظلام دون إخباري أنك راحلة. وما كنت ستخبرينني إلى أين.

ـ كنت سأخبرك في النهاية... فأنا أريد رؤية بيتي. ألم تعدني بأن أراها من وقت لآخر؟

فهز رأسه:

ـ اوه ليزا! أي نوع من الوحوش تظنيني؟ أنا لن أبعد طفلتك عنك!

ـ ولكنها... إنها ليست...

ولمعت عيناه الزرقاوان في وجهه الداكن:

ـ إنها طفلتك بكل معنى الكلمة. أعترف أنني في البداية كنت سأخذها منك بدون تردد. ولكن ليس بعد الآن. بعد أن رأيت كم تحبينها. لا يا ليزا. لست مضطرة لإثبات حقك أن تكوني أماً لها. فأنا من بحاجة لأثبت انني أهل لأبوتها... حتى الآن لم أكن أبداً الزوج الصالح ولا الأب الجيد.

www.rewayti.net

- هذا ليس صحيحاً... إنها تحبك.

فضحك بخشونة:

- وأنت، ما هو شعورك نحوي؟ لا تجيبي على هذا السؤال. استطيع تصور شعورك نحوي.

- إذن لماذا أعدتني إلى هنا؟ لماذا لا تتركني أخرج بهدوء من حياتك؟

وشحب وجهه، وتجهمت أساريره:

- إذا خرجت من حياتي، الآن أو في أي وقت آخر، لن يكون ذلك بهدوء.

- ولكنك قلت انك تريدني أن أرحل... أن أعيش بعيداً عنك.

- ولكن ليس هكذا، وليس إلى الأبد. اردتك أن تعيشي بعيداً عني كي تستطيعي معرفة حقيقتي. لأن تعرفي الإنسان الذي في داخلي.

ولم تفهم عليه:

- ولكنني استطيع فهمك وأنا هنا.

- لا... لا يمكنك هذا. فعندما تكونين بقربي، لا أستطيع التفكير إلا بأمر واحد... مغازلتك. كنت كالحيوان معك هذا المساء! فعلت ما أريد بدون تفكير... بأي شيء آخر إلا بنفسي... ولن تستطيعي تصور صدمتي عندما وجدتك عذراء... وأنا خجل جداً مما فعلته لك، مما فعلته لكلينا.

وبللت شفتيها:

- ولكن... لقد أعجبني ما فعلته بي... لقد أعجبني يا طوني!

- وهذا سبب آخر يبرر عيشنا منفصلين. لا أريد مشاعرك أن تعميها الرغبة... كنت رائعة معي، وعرفت كيف تسعدينني... وارجو أن أكون قد أسعدتك. ولكن هذا ليس كل ما أريده منك. بل أريد الكثير الكثير.

انتعش الأمل في داخلها:

- وماذا تريد مني يا طوني؟ ماذا باستطاعتي أن أعطيك بعد؟

- لست أدري إذا كان بإمكاني توقع المزيد. لقد فرضت عليك بالقوة علاقة لا بد أنها قد أثارت اشمئزازك. سأسافر غداً إلى كندا... وبإمكانك البقاء هنا. وعندما تعودين ستسكنين منزلنا مع الطفلة، أما أنا فسأتنقل... إلى أن يحين وقت... ربما...

فسألته يائسة:

- ربما ماذا يا طوني؟

تقدم ليقف أمامها، وذهلت ليزا لنظرة الحيرة على وجهه:

- ربما إلى أن يحين الوقت الذي تقبلين فيه أن تعيديني إلى حياتك.

- ولكنك لست مضطراً لترك حياتي.

أمسك طوني وجهها بلطف، وافتر ثغره عن ابتسامة:

- لم أعد قادراً على أن اكتفي بنوع العلاقة التي بيننا... والليلة، بعد أن عرفت ما أخذت منك، أردتك ثانية، واضطررت لترك غرفتك قبل أن افقد السيطرة على نفسي مرة أخرى.

إذن، هذا هو سبب مغادرته الغرفة فجأة! وليس لأنها أثارت اشمئزازه، أو أنه ندم على ما حصل!! النظرة إلى عينيه الآن أخذت تقول لها أشياء وجدت صعوبة في تصديقها، وأرادت أن تصدقها، ولكنها لم تستطع، فهمست له:

- اردتك أن تبقى معي طوني... حاولت الطلب منك أن تبقى... ولكنك لم تترك لي فرصة.

فهز رأسه:

- ولكن عاطفتك كانت تعميك... كنت أول رجل في حياتك، ومن الطبيعي أن تشعري بعاطفة معينة نحوي... ولكنني أريد أكثر من مجرد عاطفة عابرة. أريد حبك يا ليزا.

www.rewayti.net

- ولكنه لك.

هز طوني رأسه بحزن، وسقطت يداه إلى جانبيه:

- ليس هكذا يا ليزا! لا أريد حبك أن يكون هكذا. لوقت طويل الآن أحببتك... أحببت فيك اللطف، النعومة. وأحببت جسدك كذلك. لا أستطيع إنكار هذا. ولكنه ليس كل ما أريد أن أجده... أريد أن أحبك أنت يا ليزا... كلك.

لم تستطع تصديق ما تسمع... طوني... البارد... القاسي، الذي ظنته بلا شعور... ها هو يحبها!؟

بدأ وجهها يحترق وأحست برغبة في البكاء من السعادة:

- اوه... طوني... وأنا أحبك أيضا.

ولكن وجهه تجهم أكثر. وقال بلطف:

- أنت تحبين ما أجعلك تشعرين به.

- لا... اوه... لا.

تقدمت مسرعة لتقف أمامه، وأخذت تمسح النقطية من بين عينيه. ووضعت ذراعيها حول خصره، وأراحت وجهها على صدره الذي يرتفع وينخفض من الإثارة. وقالت هامسة:

- لقد عرفت ليلة دخلت غرفتي للمرة الأولى أنني أحبك، ولكن هذا حصل قبل هذا بكثير... يوم أتيت بميرا إلى المنزل، لم أكن غاضبة فقط، بل غيورة... اوه يا طوني... كم أحبك!

وقفت على أطراف اصابع قدميها لتقبله، ثم ارتمت بين ذراعيه وهي تحس بالراحة. والتفت ذراعاه حولها وكأنهما القيد الفولاذي. وتأوه بقوة:

- أرجو أن تكوني تعنين هذا يا ليزا... فأنا لن أستطيع تركك ترحلين بعد الآن... لن أستطيع!

أحست به يرتجف... وبكت من فرط سعادتها.

- لن أتركك تبعدني عنك الآن. ولن أذهب ولو حاولت دفعي

للذهاب.

واضاءت وجهه علامات الحب، وقد أحنى رأسه ليقبل جبينها... ثم تحولت القبلة إلى سلسلة من القبلات انتشرت في كل مكان. وأحس كل منهما بشوق مرير إلى الآخر، وقد أدركا حبهما العظيم، وتصاعدت مشاعرهما لدرجة الغليان.

وتراجع طوني، وأنفاسه ممزقة بالعاطفة.

- أشكر الله لأنني عدت إلى غرفتك لأراك، لأقول لك ما قررته. ولكنك كنت قد رحلت. آه لو تعرفين ماذا أحسست عندما وجدت بعض ثيابك مختفية، فلحقت بك لأجدك مع ريك... أحسست أنني أكاد أموت!

- أنا لم أكن مع ريك... لقد كان يوصلني إلى المطار.

وأراح جبهته على جبهتها، يداه متشابكتان عند أسفل ظهرها. واتحد جسداهما معاً. وتابع:

- لقد عانيت العذاب خلال اليومين الماضيين... وقد تصورت أنك على علاقة به... ولم أستطع تحمل هذا.

- إنه صديق يا طوني، مجرد صديق لا أكثر. ولقد عرف الظروف الحقيقية لميلاد بيتسي.

فتنهد:

- كنت أتمنى على الله لو أنني عرفت! لوفرت على نفسي الكثير من العذاب... كنت أتخيل الرجال الذين عرفتهم، وكنت أحس بالجحيم. كان يجب أن أعرف، يجب أن أخمن... لم أكن قد اختبرت الغيرة القاتلة من قبل... أنت حبي الأول والوحيد يا ليزا.

فابتسمت بخجل:

- وأنت كذلك بالنسبة لي.

فتنهد بصمت:

- كم تشوقت لسماعك تقولين هذا... ولا أستطيع التصديق!

www.rewayti.net

- وهذا هو شعوري... هل... حسناً... هل ستشاركني فراشي الليلة؟

وغزا الاحمرار وجهها... فسألها:

- وهل ترغبين في هذا؟

- كثيراً... كثيراً جداً.

ضمها بين ذراعيه، وانحنى ليقبلها واندفع يصعد بها السلم. فضحكت:

- طوني... قد يرانا أحد! ماذا سيظنون بنا؟

- لن أبه لظنهم البتة! أحبك... ولست أهتم بمن يعرف هذا. ولا أهتم بمن يعرف أنني سآخذ زوجتي إلى الفراش، في ساعات الصباح الأولى هذه... لا أهتم أبداً!

لمعت عينا ليزا، وبدا عليها الوهن لما ينويه، ودفنت وجهها في عنقه... متشوقة لأن تعطيه ما تبقى من حياتها...

●●●

www.rewayti.net